المرأة وحقوقها

فى منظور الإخوان المسلمين



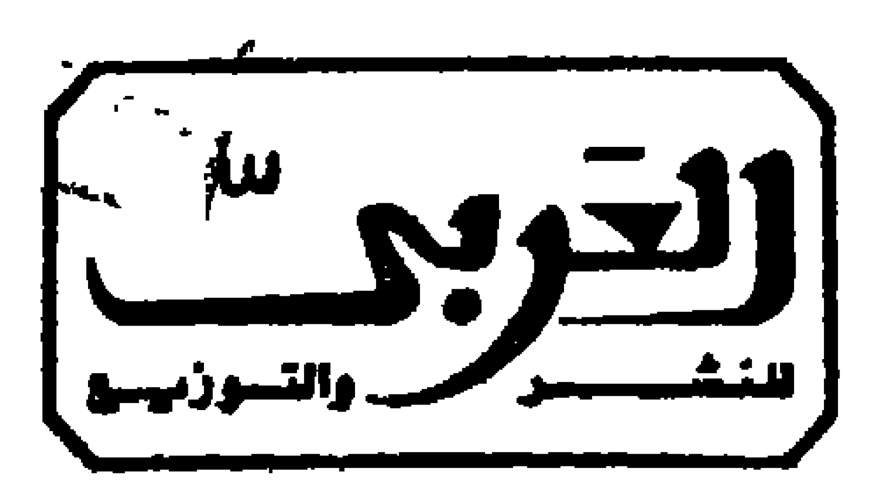
تا...
السيد يوسف

العربي للنشر والتوزيع

المرأة وحقوقها
فى منظور
الإخوان المسلمين

تأليف : السيد يوسف

١٩٩٨



٦٠ شارع القصر العينى - أمام
روزاليوسف (١١٤٥١) القاهرة
ت: ٣٥٥٤٥٢٩ فاكس : ٣٥٤٧٥٦٦

٦٠ شارع القصر العينى (١١٤٥١) - القاهرة
ت : ٣٥٥٤٥٢٩ فاكس : ٣٥٤٧٥٦٦

الطبعة الأولى

١٩٩٨

المرأة وحقوقها فى منظور الإخوان المسلمين

المؤلف : السيد يوسف
الغلاف للفنان : مصطفى رمزى
عدد الصفحات : ٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المرأة وحقوقها فى فكر الإخوان المسلمين

المقدمة :

هذا الكتاب " المرأة وحقوقها فى فكرجماعة الإخوان المسلمين " هو امتداد لدراسة موسوعية كتبتها عن هذه الجماعة نشرت منها " العربى للنشر والتوزيع " كتاباً بعنوان " الإخوان المسلمون والدولة الإسلامية " ونشرت " دار المحروسة للنشر " ستة أجزاء بعنوان " الإخوان المسلمون هل هى صحوة إسلامية؟! "وحمل الجزء الأول منها عنوان "حسن البنا وبناء التنظيم " وحمل الجزء الثانى عنوان حسن البنا والبناء الفكرى " والجزء الثالث الجماعة والعنف "والرابع " الجماعة وحركة التحرر الوطنى"والخامس " الجماعة والأحزاب " والسادس " الجماعة والسراى والجيش والوحدة الوطنية " .

ومما دفعنى للكتابة عن المرأة أهميتها العظمى فى المجتمع فهى نصفه ولا صلاح له إلابصلاحها وإعدادها حتى تنهض متكاتفة مع الرجل فى النهوض به ، فلا تقدم للأجيال القادمة إلا بتقدم المرأة : فتاة وزوجة وأما ، فهى مدرسة الأجيال ، والقول بأن وراء كل عظيم امرأة ليس قولاً خاليا من المعنى .

ومع هذه البديهيات والمسلمات ، ومع أن الدين كرم المرأة ، وجعل الجنة تحت أقدام الأمهات ، ونصح الرسول علية السلام أصحابه أن يأخذوا نصف دينهم عن هذه الحميراء [السيدة عائشة] ، فقد وجدنا من ينسبون أنفسهم إلى الإسلام لا ينظرون للمرأة إلا على أنها عورة ، وأنها مجرد زينة ومتعة للرجل يتمتع بها وله الحق أن يحفظها فى الخزائن ويلفها فى اللفائف حتى لا ترى النور ولايراها أحد ، ويحكم عليها بأن لا تخرج من بيتها إلا إلى قبرها .

هذه الأفكار الملوثة عن المرأة أشاعت مناخا ثقافيا شديد الرجعية أحدث فى

حياة المرأة المصرية والعربية ردة توشك أن تعيدها إلى عصر الحريم ، وتقضى على جهودها وكفاحها من أجل بناء شخصيتها والثقة بنفسها وبدورها فى نهضة الأمة والوطن هذه الثقة التى مكنتها من أن تحقق مساواتها بالرجل وتشاركه فى التعليم والعمل والحياة العامة ،وبذلك أعتقت نفسها من سجن الحريم وحصلت على حريتها

ويبدو أن ما أصاب المرأة فى الجيل الحالى من تخلف ليس بعيدا عن المناخ العام والزمن الردىء الذى نعيشه بحيث أصبح لخفافيش الظلام السيادة فى نشر فكرهم الظلامى وإشاعة جو الحزن واليأس فى النفوس مما أشاع مناخاً ثقافياً فاسدا كان من نتائجه أن أصبحت الأغلبية من شعبنا لا تهضم التفكير العلمى ولاتتجاوب مع التحديث ولاتعطف على المرتكزات العقلية للعلوم الحديثة ولا على قاعدتها التنويرية و تلك هى الجريمة الكبرى .

إن ما يثير العجب أن المرأة فى الجيل الحالى - بتأثير الوعى المغلوط - أخذت تتشكك فى جدوى التعليم ، وترتاب فى مشروعية حقوقها الإنسانية من حيث هى مواطنة ، فقد جعل الرجل من نفسه سيدا ، وجعلت المرأة من نفسها تابعة وذلك هو "الوأد" ليس لواحدة بل للجنس كله .

إن المرأة تتبرع سلفا بحجاب نفسها قبل أن يأمرها بالحجاب والد أو زوج فكأنها تصيح فى الناس : ها هى ذى سلعة من عهود الحريم لمن يشترى ! و المسكينة لا تدرى أن حجاب الوجه يتحول ليصبح حجابا للفكر كذلك ، والظاهر له تأثيره فى الباطن،فحجاب الوجه يستتبعه حجاب للروح كما يستتبع سفور الوجه سفور الروح.

إن هذه المرأة المرتدة قد تتعلم ولكنها تتعلم غير مؤمنة" بما تعلمته ، وقد تشارك فى ميادين العمل ولكنها غير مؤمنة بجدوى العمل فهى آخذة فى الضمور العقلى والوجدانى .

إن أبشع جوانب الردة أن المرأة تريد بمحض اختيارها أن تجعل من نفسها حريماً يتحجب وراء الجدران أو يتستر وراء حجب وبراقع ، وكأنها الفريسة السهلة تخشى أن تتخطفها الصقور ، أما أن تحصن نفسها بقوة الروح وبالشعور بكرامتها إنسانة مستنيرة واعية فذلك زمن أوشك على الذهاب مع ذهاب رائدات الجيل الماضى .

ألا ما أبعد الفرق بين الليلة والبارحة فى بارحتها ألقت المرأة بحجابها فى مياه البحر عند شواطئ الإسكندرية ، إيذانا بدخولها عصر النور ، وأما فى ليلتها هذه فباختيارها تطلب من شياطين الظلام أن ينسجوا لها حجابا يرد عنها ضوء النهار .

إن إنقاذ مستقبل هذه الأمة يحتاج إلى جهد تنويرى مضاعف لتخطى هذه النكسة وكنس الأفكار المغلوطة ببذر جديد يعيد للأمة وعيها ، وأرجو أن يضىء هذا الكتاب شمعة فى طريق المستقبل ..

وعلى الله التوفيق .

المؤلف

السيد يوسف

١٩٩٧/٩/٢٦

المساواة بين الرجل والمرأة

المرأة نصف المجتمع وصلاحها صلاح للمجتمع ، فهى التى تهز المهد بيمينها وتهز العالم بيسارها ، والمجتمع ، لا ينهض على ساق واحدة ، بل لابد لتقدمه من أن تسعى الساقان ، فلا تصبح إحداهما كلا على الأخرى ، فاليد الواحدة لا تصفق ، ويد الله مع الجماعة .

و قد ارتبط تقدم المجتمعات وتخلفها بدور المرأة فيها .

من هنا كانت شرائع الإسلام سباقة فى إعلان المساواة بين الرجل والمرأة فى الإنسانية وفى الحقوق المدنية والسياسية العامة وأيضا فى التكاليف والواجبات .

يقول الله تبارك وتعالى : " يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا [النساء آية ١] .

فالرجال والنساء أصلهما نفس واحدة ، فأساس هذه القضية هو التسوية وهو الوحدة ، فالرجل والمرأة من أصل واحد ، ومن معدن واحد " بعضكم من بعض " .

والتسوية لا تقف عند هذا المعنى العام ، بل تتعداه إلى تسوية فى الأحكام العامة . أيضا " ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا " [النساء ١٢٤] .

فالقيمة العامة فى المحاسبة وفى التكاليف قيمة واحدة .

وفى مكان آخر من القرآن الكريم نجد المرأة تحتمى بزوجها قوة ومعاشا ، والرجل يحتمى بها حبا ومعاشا أيضا فيقول الله تبارك وتعالى : " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة "

فالقرآن الكريم بهذا قد قضى على أوهام الأمم السابقة من أن المرأة ليست

من طينة الرجل ، وأنها ليست من جنسه [١] .

والشيخ محمد عبده فى نظرته للمرأة ودورها فى المجتمع لم ينظر إليها بمعزل عن قضية الإصلاح العامة لعموم الأمة ، فالأسرة لبنة فى بنيان الأمة التى تتكون من البيوت [العائلات] فصلاحها صلاحها ... ومن لم يكن له بيت لاتكون له أمة ..... والرجل والمرأة متماثلان فى الحقوق والأعمال كما أنهما متماثلان فى الذات والشعور والعقل" [٢] .

وفى تفسير الشيخ محمد عبده لقوله تعالى : " ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم " [البقرة ٢٢٨] .

يقول : " ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف " هذه كلمة جليلة جدا جمعت على إيجازها مالا يؤدى بالتفصيل إلا فى سفر كبير ، فهى قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل فى جميع الحقوق إلا أمرا واحدا عبر عنه بقوله : " وللرجال عليهن درجة " وقد أحال فى معرفة مالهن وماعليهن على المعروف بين الناس فى معاشراتهم ومعاملاتهم فى أهليهم [٣] .

أما الدرجة التي للرجال على النساء فهي أقرب إلى التكامل منها إلى التفاوت فى الدرجة فهى إن أوجبت على المرأة شيئا فقد أوجبت على الرجال أشياء فالدرجة هى الرياسة والقوامة التى هى تقسيم للعمل ، والتى جاءت فى قوله تعالى : " الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا

---

[١] - حسن البنا : حديث الثلاثاء ص ٢٩

[٢] - د . محمد عمارة : الإسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده ص ١١

[٣] - المرجع السابق صـ٦١ ، ٦٢

عليهن سبيلا ، إن الله كان عليا كبيرا " [النساء ٣٤] .

فالحياة الاجتماعية لابد لها من رئيس حتى لا يختل النظام ، والرجل لعلمه بالمصلحة وقدرته على التنفيذ بقوته وماله هو أحق بالرياسة ، ولذا فهو مطالب بحماية المرأة والإنفاق عليها ، وهى مطالبة بطاعته ، فالرياسة هى التى يتصرف فيها المرءوس بإرادته واختياره وليس معناها أن يكون المرءوس مقهورا مسلوب الإرادة لا يعمل عملا إلا ما يوجهه إليه رئيسه ، فإن كون الشخص قيما على آخر هو عبارة عن إرشاده والمراقبة عليه فى تنفيذ ما يرشده إليه " .

ويرى الشيخ محمد عبده أن الصالحات القانتات ليس للرجال عليهن شئ من سلطان التأديب فضلا عن الهجر والضرب وإنما سلطانهم على القسم الثانى وهن " اللاتى تخافون نشوزهن " .

ويحذر الشيخ محمد عبده من ظلم الرجال للنساء فيقول :

" واعلموا أن الرجال الذين يحاولون بظلم النساء أن يكونوا سادة فى بيوتهم إنما يلدون عبيدا لغيرهم ! " [٤] .

وقديما وقف أفلاطون نصيرا لقضية المرأة على أساس إيمانه بالمساواة بين الرجل والمرأة فى المواهب والعمل فقال :

" ليس من عمل ما فى نظام الهيئة الاجتماعية تختص به المرأة كامرأة ، أو يختص به الرجل كرجل لأن الطبيعة ساوت بين الرجل والمرأة فيما منحتهما من النعم والمواهب ولذلك يحق للمرأة أن تقوم بكل عمل يقوم به الرجل رغم كونها أضعف جسمانه " [٥] .

---

[٤] - الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ٥ ص٢٠٨ ، ١١٢ + د. محمد عمارة : الإسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده ص٦٩ - ٧٦ .

[٥] مجلة الإخوان المسلمون "العدد ٨ فى ١١ ربيع الثانى سنه ١٣٥٢هـ تحت عنوان النسائيات وظيفة المرأة فى الحياة ص١٩

سوء التفسير:-

ولكن من يمتهنون المرأة أو ينظرون إليها نظرة دونية يحاولون أن يلووا عنق النصوص ويحرفون الكلم عن مواضعه فيلجئون إلى سوء التفسير مكرسين بذلك التفرقة ومبررين لها .

ففى إجابة لمجلة " الإخوان المسلمون" فى ٢٠ مارس سنه ١٩٤٣ عن أسئلة موجهة لقلم التحرير اعترفت المجلة أن الله لم يفضل الرجل على المرأة فى شئ من معانى الإنسانية العامة وحقوقها ، ولكنها نقضت ذلك حين عادت تقول : إنما وقع التفضيل فى الأمور التى اقتضتها المهمة التى أسندت إلى كل منهما فى الحياة ، فالرجل هو القيم وبهذا فضل المرأة ، ثم اختلف تكوين كل منهما بعد ذلك بحسب مهمة كل منهما وطبيعة الأعمال التى تسند إليه ، فكانت المرأة أقرب إلى الرقة واللطف والدعة ، وكان الرجل أقرب إلى القوة والخشونة والحزم ، ومن هنا كذلك اختلف تكوينهما البدنى والعقلى .

وذكرت المجلة أن تكوينهما البدنى والعقلى مختلفان ، فالرجل أقوى فى تكوين بنيته من المرأة ، وأنه ثبت فى الطب النفسى أن الرجل تغلب عليه قوة التفكير والإرادة فى الوقت الذى تغلب فى المرأة قوة الوجدان والعاطفة ، ومن هذه الثلاثة تتكون القوى العقلية فى الإنسان .

ولتدعيم هذا الرأى أوردت المجلة رواية عن أبى سعيد الخدرى : " خرج علينا رسوله الله (ص) فى أضحى أو فطر إلى المصلى ، فمر على النساء ، فقال يا معشر النساء تصدقن فإنى رأيتكن أكثر أهل النار ، فقلن : ولم يا رسول الله ؟ قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن ، قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يارسول الله ؟ قال : أليس

شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ قلن : بلى . قال : فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ قلن: بلى. قال : فذلك من نقصان دينها " [٦]

ويبدو أن الإجابة السابقة لمجلة الإخوان المسلمون " هى من تحرير الشيخ حسن البنا لأنه كرر نفس المعنى فى مناسبات وأماكن مختلفة .

ففى مجلة المنار فى مايو عام ١٩٤٠ بعنوان " المرأة المسلمة " تحدث عن أن الإسلام يرفع قيمة المرأة و يجعلها شريكة الرجل فى الحقوق و الواجبات ، ثم يتحدث عن أن التفريق بين الرجل و المرأة فى الحقوق إنما جاء تبعا للفوارق الطبيعية التى لا مناص منها بين الرجل والمرأة وتبعا لاختلاف المهمة التى يقوم بها كل منهما ، فذكر أنه قد يقال إن الإسلام فرق بين الرجل والمرأة فى بعض حالات الأهلية أو التصرف أو الاستحقاق ، ولم يسو بينهما تسوية كاملة ، وذلك صحيح ، ولكنه من جانب آخر يجب أن يلاحظ أنه إن انتقص من حق المرأة شيئا فى ناحية ، فانه قد عوضها خيرا منه فى ناحية أخرى أو يكون هذا الانتقاص لفائدتها وخيرها قبل أن يكون لشئ آخر .

ثم ذكر أن تكوينهما الجسمانى والروحى مختلفان ، وأن مهمة كل منهما فى الحياة مختلفة عن مهمة الآخر ، مما يستتبع اختلافا فى نظم الحياة المتصلة بكل منهما .[٧]

أما عن التفريق بين الرجل والمرأة فى الميراث والشهادة حيث للذكر مثل حظ الأنثيين من تركة الأبوين وحيث لابد أن تعزز شهادة المرأة بمثلها فقد فسر حسن البنا ذلك بأن الإسلام الذى قرر هذا الوضع فى الميراث قرر إلى جانبه أن الفتى

---

[٦] مجلة الإخوان المسلمون العدد ١٤ السنة الأولى فى ١٤ ربيع الأول سنه ١٣٦٢هـ ٢٠ مارس سنة ١٩٤٣ م صـ١١ ، ١٢

[٧] المنار الجزء الثامن المجلد ٣٥ ربيع الثانى ١٣٥٩هـ مايو ١٩٤٠ م ص ١٤ – ١٦

مطالب بالإنفاق على الفتاة زوجا كانت أو أختا أو أما ، فكان من العدل أن يعان على تبعته ، أما عن الشهادة فقد ذكر أن جمال المرأة فى عاطفتها ، وأنها حين تخلو من رقة العاطفة وجمالها تفقد أهم مميزاتها وأفضل خصائصها ، والشهادة دليل يحتاج إلى حدة الذاكرة ودقة التفكير والبعد عن مجال العاطفة ، وتجنب التأثر بتيار الشعور والوجدان ، ولهذا لابد أن تقرن شهادة المرأة بشهادة أخرى حتى يتأكد لدى القاضى أنها شهادة يمليها تفكير لا هوى ولا عاطفة .

ويذكر حسن البنا أن ذلك ليس إنقاصا لقيمة المرأة ولا حطا من درجتها ولكنه تقدير لعاطفتها ونزول على تكوينها .[٨]

وحسن البنا فى سبيل التضييق على المرأة يحملها مسئولية فسق الشباب ، فيرى أن وظيفة المرأة هى البيت فقط ، فإذا خرجت عن هذه الوظيفة فهذا هو الطغيان .

ويذكر حسن البنا أن طغيان النساء هو الشرارة الأولى التى تتطاير فى جو الحياة الاجتماعية للأمة فيمتلئ بالدخان والحمم ، ثم تندلع عنها النيران هنا وهناك حتى يتحطم بنيان هذه الأمة ، ويندك صرح مجدها ، لما للمرأة من أثر فى علو أو انخفاض حياة الأمم الاجتماعية .

وهو يقسو على المرأة فيحملها مسئولية الفساد فى المجتمع فيقول : –

ما أقوى ضعف المرأة وما أضعف قوة الرجال أمامها ؟! فإذا جاوزت المرأة الحدود التى حدها لها الدين ، وخرجت على قانون الطبيعة ، وخالفت وظيفتها فى الحياة ، وتناهت فى التزين والتبرج ، وسارت كما شاءت وشاء لها الهوى ودانت بالإباحية والتهتك كان ذلك أول مؤذن بدبيب الفساد إلى صميم الأمة القوية ... وكانت

---

[٨] مجلة " الإخوان المسلمون " العدد ١٣ السنة الثانية ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣هـ ١٧ يونية سنه ١٩٤٤ م صـ٤ بعنوان من أهداف الدعوة بقلم حسن البنا .

النتيجة الطبيعية لهذا الطغيان من النساء فسق الشباب وخروجهم على سنن الرجولة وميلهم إلى الشهوات ، وأخذهم فى طريق الطراوة والخنوثة ، واستنامتهم إلى اللذة ، وغفلتهم عن أداء الواجبات ، وكان كل ما يفكر فيه أحدهم فتاة يخدعها أو امرأة تخدعه.[٩]

إن الإسلام عرف للمرأة قدرها فكرمها بل وفضلها على الأب فجعلها أحب الناس إلى الابن وجعل الجنة تحت أقدام الأمهات ، ودعا الرسول المسلمين إلى أن يأخذوا نصف دينهم عن هذه الحميراء [السيدة عايشة] .

ورغم ذلك أخذ حسن البنا يثير حولها الشكوك والوساوس ، ونظر إليها على أنها فتنة وأخذ يحذر المسلمين منها ، فيقول لمحرر مجلة النذير :

اسمع يا محرر النذير ، أحب أن ألفت نظرك ونظر قرائك إلى هذه الأحاديث النبوية الكريمة والنصائح المحمدية الغالية فإن فيها تبصرة وذكرى :

١- ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء .

٢- الخمر جماع الإثم ، والنساء حبائل الشيطان ، وحب الدنيا رأس كل خطيئة .

٣- اتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت من النساء .

٤- المرأة عورة ، فإذا خرجت استشرفها الشيطان ، وإنها لا تكون أقرب إلى الله منها فى قعربيتها [١٠]

وهنا لا نجد ردا على إثارة هذه الشكوك حول المرأة أفضل مما كتبه الشيخ محمد الغزالى حين تحدث عن الأسباب الاجتماعية للانهيار ، فذكر أن وضع المرأة

---

[٩] – مجلة " الإخوان المسلمون " العدد ١٣ السنة الثانية ٢١ ربيع الثانى سنه ١٣٥٣هـ بعنوان السنة : من أعلام النبوة لحسن البنا ص١٠،١١

[١٠] – النذير العدد ١٩ فى ٨ جمادى الأولى سنه ١٣٥٨هـ السنة الثانية تعقيب حسن البنا على حديث لشيخ الأزهر بروز اليوسف عن ثياب المرأة ومركزها فى الحياة العامة ص١٧ .

تدهور خلال القرون الأخيرة تدهورا تنكره تعاليم الإسلام ، وانتهى أمرها إلى أن أصبحت كائنا محصور النشاط فى نطاق المتعة الحيوانية والحضانة الغريزية ، وحرمت من فنون العلم وأسقطت عنها تقريبا أنواع العبادات من صلاة وحج وزكاة وجهاد أدبى أو مادى ، إلا عبادة واحدة هى خدمة بيتها ورجلها ، وهى عبادة كانت تؤديها الأداء الذى يستطيعه مخلوق جاهل ضرير .

ومن تكرار القول أن نؤكد بعد هذه الحالة عن الإسلام ومنافاتها لوظيفة المرأة كما تفهم من كتاب الله ومن سنة رسوله ، ونحن نرى الغيرة المتطرفة [والكلام لا زال للشيخ الغزالى] عند بعض الناس سر هذا العوج ، وهى غيرة ظهرت أعراضها على بعض الناس ولم يكترث لها الشارع .

بيد أن الغيرة المجنونة مضت بأصحابها تراغم تعاليم الإسلام حتى نسب لرسول الله - كذبا - أنه قال : " لاترى المرأة رجلا ولا يراها رجل ! "

وسنت بعد ذلك قانون الحجاب الذى قضى على المرأة أن تنكمش وتتلاشى وتقضى حياتها ، وهى شئ أشبه بسقط المتاع [١١] .

إن الفروق بين الرجل والمرأة موجودة ، ولكن لا يستلزم ذلك بالضرورة تفوق أحدهما على الآخر ، بل نستطيع أن نقول إن هذه الفروق هى من باب التكامل لا التعارض فإذا كان صحيحا مايقال عن الرجل من أنه أقدر من المرأة على الإبداع فى العلم والفن والأدب وغيرها فإن فى المرأة امتيازا فى ناحية أخرى يحدث التوزان، فإذا كان الرجل أقدر على إبداع الجديد فإن المرأة أقدر على المحافظة التى بدونها لا تدوم الحياة للناس ، الثورة على الحياة لتغييرها من صنع الرجل ، واستقرار الحياة الذى يضمن استمرارها من صنع المرأة ، الرجل يصفق بجناحيه ليطير ، والمرأة تبسط جناحيها على ما هو موجود ليظل موجودا ، فشئون الحياة

---

[١١] - محمد الغزالى : حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربى ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

يتقاسمها عاملان متكاملان ، أحدهما يسد نقص الآخر ، الأول عامل التجديد ، والثانى يصون ثبات الهوية الواحدة ودوامها حتى لا تتبدد . [١٢]

ورغم الموقف غير المنصف للمرأة من قبل الشيخ حسن البنا ، فقد أدرك أهمية دور المرأة فى بناء دعوته وتنظيم جماعته .

فمنذ الأيام الأولى لقيام حركة الإخوان المسلمين أنشا معهد أمهات المؤمنين بالاسماعيلية فى إبريل ١٩٣٣ وكون أول شعبة رسمية للأخوات المسلمات .

ورغم جهود البنا فقد نما التنظيم النسائى ببطء شديد لما واجهه من مقاومة من الرجال فتأخر تشكيل قيادة للتنظيم النسائى عشر سنوات بعد إنشاء الشعبة الأولى وأصبح له مركزعام ١٩٤٤ .

ولم يواجه هذا التنظيم النسائى بمقاومة من الرجال فقط بل واجه نفورا من المتعلمات لأنهن رأين فيه عودة إلى عصر الحريم و أبعد عن التحرير الحقيقى للمرأة كما كان الإخوان يعلنون ، لذلك كان عدد الأخوات المسلمات فى الجامعة ضئيلا عكس عدد الإخوان فيها .

ومع أن الإخوان كانوا يعلنون – قبل صدور قرار حل الجماعة فى ديسمبر ١٩٤٨ –أن عضويتهم بالقطر المصرى زادت على النصف مليون ، فإن عدد الأخوات المسلمات لم يزد عن خمسة الآف أخت مسلمة [١٣] .

ونحن إذا رجعنا إلى الوراء قليلا وتذكرنا بعض آراء رواد التجديد الإسلامى فى العصر الحديث سوف نجد إدراكا أكثر عمقا وأقوى حجة وأعدل حكما بالنسبة للموقف من المرأة ، وسنجد من خلال المقارنة أننا تخلفنا بدلا من أن نتقدم .

---

[١٢] – الاهرام فى ١٩٨٤/٤/٩ ص ١٢ مقال بعنوان : ردة فى عالم المرأة !! بقلم د . زكى نجيب محمود

[١٣] – د. ريتشارد ميتشيل : الإخوان المسلمون جـ٢ ص ٣٤ ، ٣٥

فالشيخ محمد عبده وهو أكبر مجتهد إسلامى فى العصر الحديث عند تفسيره لقوله تعالى "الرجال قوامون على النساء" فسر القوامة بالرياسة ، وذكر أن المؤهلات الفطرية والكسبية التى تجعل للرجل حق التأديب – وهو من مهام الرياسة – إذا توفرت للمرأة – هذه المؤهلات – فلا معنى لحصر هذا الحق من حقوق الرياسة فى الرجل دون المرأة .

وهذا يعنى أن الشيخ محمد عبده يرى أن من بلغت مداركها وقدراتها إلى الدرجة المطلوبة للرياسة فلا سبيل للرجال عليهن . [١٤]

وعن التفسخ والفساد فى المجتمع لم يحمل الشيخ محمد عبده تبعته على المرأة وحدها كما فعل الشيخ حسن البنا حين جعلها مثيرة للفتنة وتبحث عن الشهوة بل حمل الرجل المسئولية الأكبر فى الجرى وراء الشهوات ، فقال :

" زعم بعض الناس ...... أن النساء أشد شهوة من الرجال ، ومنهم من قدر هذه الشدة والزيادة بأضعاف كثيرة حدها وعدها عدا ، وهذا من نبذ الأقوال وطرحها بغير بينة ولا علم ، فإن الرجال كانوا ومازالوا هم الذين يطلبون النساء ويرغبون فيهن ، ثم يظلمونهن حتى بالتحكم فى طبائعهن والحكم على شعورهن ويأخذ بعضهم ذلك من بعض بالتسليم والتقليد " . [١٥]

ويرى الشيخ محمد عبده أن علة هذا الاضطراب فى الموقف من المرأة وما لحقها بسبب ذلك من ظلم وإجحاف يعود بنا إلى النظرة الجاهلية التى سادت قبل الإسلام والتى جاء الإسلام ليحرر المجتمع منها .

---

[١٤] الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ٤ ص ٦٣١ + د . محمد عمارة : الإسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده ص٢٣ – ٢٥ .

[١٥] الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ٤ ص ٦٢٧ + د. محمد عمارة : الإسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده صـ ١٧ .

إن علة هذا الاضطراب والردة إنما يرجع إلى الفهم الخاطئ لموقف الشريعة من المرأة حيث حررها الإسلام وأعطاها من الحقوق مثل ما للرجال .

يقول محمد عبده : " لقد كان الناس لجهلهم بوجوه المصالح الاجتماعية على كمالها لايرون للنساء شأنا فى صلاح حياتهم الاجتماعية وفسادها حتى علمهم الوحى ذلك ، ولكن الناس لا يأخذون من الوحى فى كل زمان إلا بقدر استعدادهم ، وإن ماجاء به القرآن من الأحكام لإصلاح حال البيوت [العائلات] بحسن معاملة النساء لم تعمل به الأمة على وجه الكمال ، بل نسيت معظمه فى هذا الزمان وعادت إلى جهالة الجاهلية " . [١٦]

وعبدالرحمن الكواكبى يهاجم التفرقة بين الرجل والمرأة ويرجعها للاستبداد السياسى فيرى أن " هذه القسمة المتفاوتة بين آدم وحواء إلى هذه النسبة المتباعدة هى قسمة جاء بها الاستبدادالسياسى " . [١٧]

إن أوضاع المرأة الآن فى المجتمع – مقارنة بما كانت عليه فى النصف الأول من هذا القرن – هى عودة إلى الوراء وردة للمرأة ، فهى تهرول بإرادتها واختيارها إلى عصر الحريم ، وليس هذا غريبا فى ظل الوعى العام المغلوط وسيطرة الاتجاهات المحافظة فى الفكر والسلوك والثقافة ، هذه الاتجاهات التى ترفض

---

[١٦] الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ٤ صـ٦٥٤+ د. محمد عمارة : الإسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده صـ١٨ .

[١٧] عبد الرحمن الكواكبى الأعمال الكاملة – طبائع الاستبداد – الاستبداد والمال دراسة وتحقيق د. محمد عمارة ص ٨٧ .

التحديث ، ولا تتعاطف مع التفكير العقلي ولا تتجاوب مع منجزات العلم ومناهجه ، ولا مكونات حركة التنوير وقيمها .

في بداية هذا القرن توثبت المرأة طموحا وتحفزا فحطمت قيود الحريم ، و أوشكت أن تسترد كرامتها المفقودة وإنسانيتها الضائعة ، وجاهدت في كل ميدان، ولم تقنع بالقليل الذي لم يتكافأ مع قدراتها .

و الآن فترت عزيمتها " فلقد ضحك عليها من ضحك ، وخدعها من خدع وكانت مأساتها أن جازت عليها الحيلة ، فصدقت أن دنياها ليست هي دنيا الناس من علم وعمل وفن وأدب وفكر ورأي وريادة وهداية وجهاد ، صدقت أن المرء والمرأة بينهما من التباين ما بين الروح والجسد ، أو ما بين الطيران الطامح في صعوده ، والقعود المكبل بأغلال الكسيح ، ضحك عليها من ضحك وخدعها من خدع ، فصدقت البريئة أنها حلية يتملكها من يقتنيها ، ومن حق هذا المقتني أن يلف حليته باللفائف وأن يحفظها في الخزائن ، ونسيت أنها فرع من فرعين يتألف منهما الإنسان ، لكن البريئة صدقت ، وراحت تلف نفسها قبل أن يلفها مقتنيها ، ولم نعد نسمع منها إلا حنينا إلى العودة لتنخرط مرة أخرى في معتقل الحريم .

ومن المؤسف أن المسكينة أخذت تشك في مشروعية حقوقها الإنسانية من حيث هي مواطنة كأنما يوسوس لها شيطان بأنها إنما خلقت – لا لتكون حرة مسئولة أمام ربها وضميرها – بل لتكون تابعة لهذا خاضعة لذاك ، تتحجب إذا شاء لها سيدها أن تتحجب ، وتسفر إذا أمرها مولاها أن تسفر فأين هي من سالفتها في جيلنا السابق حين أخذت رائدات الحركة النسوية تشق جلاميد الصخر لتفسح للمرأة طريقها إلى ضوء النهار [١٨]

---

[١٨] الأهرام في ١٩٨٤/٤/٩ ص ١٣ مقال بعنوان : ردة في عالم المرأة بقلم د . زكي نجيب محمود

تعدد الزوجات أم تقييده

لقد كرم الإسلام المرأة فأعتقها من أسر عبودية التقاليد القبلية ، التى كانت تعتبر مولد البنات كارثة يواجهونها بالوأد ، وأنقذها الإسلام منه بتحريمه "وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت " [التكوير ٨ ، ٩] ورفع منزلتها فكفل لها حق اختيار الزوج الكفء ، وحرم على ولى أمرها الامتناع عن تزويجها ممن ارتضته ، إذا كان الارتضاء بما هو معروف شرعا وعادة .

وقد يسر الشيخ محمد عبده إتمام الزواج متجاوزا العرف ، ومنحازا لحرية الاختيار الرشيد للمرأة وذلك حين رأى " أنه إذا أرادت المرأة أن تتزوج بأقل من مهر مثلها ، ولم يكن الحامل على ذلك فساد الأخلاق المسقط للكرامة ، أواتباع الهوى وإرضاء الشهوة ، بل كان ميلا إلى رجل مستقيم يرجى منه حسن العشرة ، إلا أنه يعسر عليه دفع مهر كثير مع نفقات الزواج الأخرى ، فلا يجوز حينئذ الفصل [امتناع الولى أن يزوجها ممن ارتضته] ، بل يجب تزويجه " [١٩]

وعلى عكس العالم الغربى ، لم ينكر الإسلام أبدا وجود روح للمرأة

وإذا كان الإسلام قد شرع الزواج ويسره بالتراضى بين الرجل و المرأة برجاء حسن العشرة وصلاح المعيشة فقد قننه بما يضمن حسن هذه العشرة وصلاحها .

كان الزواج قبل الإسلام مباحا فيه التعدد بلا حدود ، فللرجل أن يتزوج بأى عدد يشاء من النساء ، ثم جاء الإسلام فحقق تقدما تاريخيا على الأوضاع السائدة حين استهدف الحد من التعدد ولكن بشكل متدرج ، فقصر التعدد على أربع زوجات فقط ، وحتى هذا القصر على أربع قد خضع لمقاييس دقيقةتجعل تنفيذه الحرفى بالغ الصعوبة ، إذ اشترط العدل ، " فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة " .

---

[١٩] د. محمد عمارة: الإسلام و المرأة فى رأى الإمام محمد عبده ص٨٧

فالاحتفاظ بمبدأ التعدد له وظيفة اجتماعية هى استخدامه فى أوقات الضرورة مثل الحاجة إلى زوجة أخرى لأن الأولى عقيم ، أو زيادة عدد النساء بالنسبة للرجال فى أعقاب الحروب .

أما سوء استخدام التعدد لإرضاء الشهوات وتحقيق النزوات ، وإفساد الأسر وتشرد الأبناء فهو من فساد التطبيق الذى يجب أن يقاوم ويوضع له حد بالقوانين الملزمة.

وعلى كل ، فهذا التعدد - مع تقدم الوعى الثقافى والحضارى - يقل بالتدريج ، وسوء التطبيق يحاصر كما هو مشاهد الآن فى المراكز الحضرية حتى يكاد ينحصر التعدد فى وظيفته الاجتماعية وهو الاحتياج الحقيقى .

وفى الأدبيات التى تركها الشيخ حسن البنا نجد آراء متراوحة بين التقييد والإطلاق فى قضية تعدد الزوجات .

ففى ٢٠ مايوعام ١٩٤٤ كتب فى مجلة " الإخوان المسلمون " يقول :

أما تقييد حرية الطلاق وتعدد الزوجات فليس محل خلاف بين الناس "

ويرر فوضى التعدد وعدم الالتزام بالتقييد بسوء استخدام الناس لهذه الحقوق فذكر أنه " ليس خلاف أن معظم الناس قد أساء استخدام هذه الحقوق ولم يتصرف فيها على وجهها السليم ، ولم يضعها موضعها النافع "

وقرر أن للحكومة الحق فى التدخل لحماية شرط العدل فقال :

وليس محل خلاف كذلك أن الحكومة باعتبارها المسئولةعن شئون الناس العامة من حقها أن تتدخل لوضع حد لهذه الفوضى التى أوجدها سوء استعمال الجماهير لهذه الحقوق ، ففى تعدد الزوجات مثلا قال القرآن الكريم فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة " فإذا تدخلت الحكومة لحماية شرط العدل كانت عاملة على تحقيق فكرة الإسلام لا واقفة فى طريقها " [٢٠] .

---

[٢٠] مجلة " الإخوان المسلمون " العدد ١١ " السنة الثانية ٢٧ جمادى الأولى ١٣٦٣هـ ٢٠ مايو عام ١٩٤٤ ص ٤ بعنوان " من أهداف الدعوة " بقلم حسن البنا .

ولكن حسن البنا الذى ركز فى مقاله السابق على قضية العدل وقرر أن للحكومة الحق فى حمايته ، كتب بعد أقل من شهر فى نفس المجلة وبالتحديد فى ١٧ يونيةعام ١٩٤٤ يرد على ما كتبه الكاتبون فى بعض المجلات الأسبوعية ، من المطالبة بتقييد تعدد الزوجات فهاجمهم واتهمهم بالتقليد وتعجب من مطلبهم ، فوقع فى مفارقة غريبة متناقضا مع نفسه .

فبينما فرق بين نظم الإسلام وتعاليمه وبين سوء استخدام الناس لهذه النظم وفساد تطبيقهم لهذه الأوضاع ، إذ به يستشهد بواقع ما بعد الحرب العالمية الثانية من فقر فى الرجال فيقول : " والواقع سيد الأدلة " ثم يقول : " إن الإسلام أباح تعدد الزوجات إلى أربع للقادر على ذلك المستطيع له "

وكأنه بذلك يطلق للقادر العنان فى ملذاته وشهواته ، ولم يتعرض هنا لشرط العدل ، وما يترتب على التعدد من مضار وتفكك فى الأسر، وضغائن وأحقاد بين الأبناء ، بل ركز على حكمة الإباحة مستشهدا بما يعقب الحروب من فقر فى الرجال فيقول :

" وإن خيراً للمرأة وأقرب إلى العدالة الاجتماعية والإنصاف فى المجتمع أن تستمتع كل زوجة بربع رجل أو ثلثه أو نصفه من أن تستمتع زوجة واحدة برجل كامل ، و إلى جانبها واحدة أو اثنتان أو ثلاث لا يجدن شيئا "

ولا اعتراض على أن هذا الظرف من الضرورات التى لها اعتبارها فى وظيفة التعدد ، ولكنه ظرف استثنائى لا تنبنى عليه قاعدة عامة .

أما أن يستخدم هذا الظرف الاستثنائى لفتح الطريق للقادرين لإشباع شهواتهم من النساء – مستعينين فى ذلك بما يملكونه من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة بادعاء " أن خيرا للمرأة وللرجل وللمجتمع كله أن يتصل الرجل بهذا العدد من الزوجات على أنهن حليلات لا خليلات "[٢١] فهذا ليس من الإسلام ولا من عدله فى شئ .

---

[٢١] مجلة " الإخوان المسلمون" العدد ١٣ فى ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣هـ ١٧ يونية سنة ١٩٤٤ السنة الثانية بعنوان " من أهداف الدعوة " ص٣ بقلم حسن البنا

ثم يذهب حسن البنا بعيدا عن تقييد التعدد حين يطالب بتكرار الزواج حلا لمشاكل الفقر .

فهل صحيح أن تكرار الزواج يحل مشاكل الفقر ؟ أم يزيد الناس فقرا ؟!

وإذا كان هذا صحيحا في زمن ما فهل هو صحيح في زمننا ؟! أم أن هذا من باب الهزل في موقف الجد ؟!

في حديث الثلاثاء ، وتحت عنوان " ترغيب الإسلام في الأسرة " يروى حسن البنا قصة رجل ذهب إلى النبى (ص) يشكو الفقر عدة مرات ، وفى كل مرة ينصحه الرسول بالزواج بأخرى حتى تزوج أربعة وصار من الأغنياء .

يبدأ حسن البنا بقوله :" ثم يأتى الإسلام فيذلل العقبات التى تعترض تكوين الأسرة ويهونها تهوينا عجيبا .

جاء رجل إلى النبى (ص) يشكو الفقر فقال له عليه الصلاة و السلام تزوج فتزوج ، ثم جاء إليه ثانية يشكو الفقر فقال له تزوج فتزوج ، ثم جاء إليه ثالثة يشكو الفقر فقال له تزوج فتزوج ، ثم جاء إليه رابعة يشكو الفقر فقال له تزوج فتزوج الرابعة وكانت تحسن الغزل ، فعلمت ثلاث النسوة صنع الغزل و النسيج فانفرجت بذلك ضائقة الرجل وصار من الأغنياء لأنه أصبح مدير مصنع تعمل فيه زوجاته .

ثم يعقب حسن البنا فيقول : انظر إلى هذا الاتجاه الإسلامى كيف يرفه عن صاحبه ويجعله سعيدا في الدنيا و الآخرة ، أما الاتجاه الآخر و الحياة الجديدة التى يحياها الناس الآن فقد جلبت عليهم المشاكل ، مشاكل عديدة أودت بهم إلى الحضيض ، ولو أنهم أخذوا بالتوجيه الإسلامى لما وجدوا هذا العنت ولا هذه المشقة"[٢٢]

---

[٢٢] حسن البنا : حديث الثلاثاء ص٥ ٣٧

ولا تعليق لنا إلا التساؤل : أحقا يكون هذا علاجا للفقر ؟!

وحين أعدت وزارة الشئون الاجتماعية مشروع قانون بمنع تعدد الزوجات وبتقييد الطلاق نشرت مجلة " الإخوان المسلمون" فى ٢٨ يونية عام ١٩٤٥م تعقيبا على هذا بأن علماء الدين أثاروا ضجة ضد هذا المشروع ، وأبدوا أسبابا وجيهة للاعتراض عليه جعلت الوزارة تعدل عن السير فى هذا المشروع .

وهذا التعليق المؤيد للاعتراض على المشروع يتناقض مع ما سبق أن كتبه حسن البنا من أن تقييد تعدد الزوجات ليس محل خلاف بين الناس .

ولكن التعقيب لم يكتف بهذا ، بل استطرد إلى الهجوم على مشروع آخر فى نفس الاتجاه فقال : -

وكنا نحب أن ينتهى الأمر عند هذا الحد ، ولكن يؤسفنا أن شيخا محترما هو سعادة محمد على علوبة باشا تقدم بمشروع قانون أسوأ من مشروع الوزارة ونحن ننفرد بنشر هذا المشروع الجديد غير مسبوقين ، ولنا ردّ عليه فى العدد القادم إن شاء الله .

وعرضت المجلة لنص المشروع كما يلى :

قرر مجلس الشيوخ ومجلس النواب القانون الآتى نصه ، وقد صدقنا عليه وأصدرناه :

١- لا يجوز لمأذون أن يتولى أو يسجل عقد زواج أى شخص محجور عليه بسبب ضعف فى قواه التناسلية .

٢- لايجوز لمأذون أن يتولى أو يسجل عقد زواج متزوج بأخرى إلا بعد الحصول على قرار بذلك من قاضى المحكمة الشرعية الجزئية الكائن بدائرتها مكان الزوج .

٣- لا يأذن القاضى الشرعى بزواج متزوج إلابعد التحقق من أن حالته يؤمن

معها قيامه بحسن المعاشرة والإنفاق على أكثر ممن فى عصمته ، ومن يجب الإنفاق عليهم من أصوله وفروعه . ولكل ذى شأن أن يستأنف القرار المذكور إلى المحكمة الابتدائية الشرعية المختصة فى ظرف ثلاثين يوما من تاريخ صدوره ، ولا ينفذ القرار إلا بعد أن يصبح نهائيا بتأبيده ، أو لعدم استئنافه فى المدة المحددة له .

٤-يكون للزوجة الحق فى طلب تطليقها من زوجها بسبب عقد زواجه بأخرى بعدها .

ثم جاءت المواد ٥ ، ٦ ، ٧ لتقيد حق الطلاق ، مما سنشير إليه فى مكانه .

٨- يعاقب المأذون الذى يعقد زواجا أو يباشر إشهار طلاق لمخالفته لأحكام هذا القانون بالعقوبة المبينة فى المادة الخامسة .

٩- على وزير العدل تنفيذ هذا القانون ويعمل به بعد ثلاثين يوما من تاريخ نشره فى الجريدة الرسمية .[٢٣]

أليس هذا المشروع مما يتفق مع ما قرره الشيخ حسن البنا – كما سبق القول – من أن للحكومة الحق فى التدخل لحماية شرط العدل ، وأنها بتدخلها هذا تكون عاملة على تحقيق فكرة الإسلام لا واقفة فى طريقها ؟

إذا كان الأمركذلك فلم الاعتراض على مشروع القانون السابق ؟

أم أن القول بأن تقييد التعدد ليس محل خلاف " هو من باب المجاراة الكلامية التى لا يتفق ظاهرها مع ما يبطنون ؟!

ومن هذا يتضح الموقف الجامد شديد المحافظة الذى يتمسك به الشيخ حسن البنا وجماعة الإخوان المسلمين .

---

[٢٣] مجلة " الإخوان المسلمون " العدد ١٤ السنة الثالثة ١٨ رجب ١٣٦٤هـ يونية ١٩٤٥ تحت عنوان مشروع تقييد الطلاق وتعدد الزوجات ص ١٨

وإذا قارنا بين هذه الآراء والمواقف فى منتصف القرن العشرين ، وبين فكر الشيخ محمد عبده المستنير فى أخريات القرن التاسع عشر لظهر البون شاسعا ولتبين لنا بوضوح : كم تخلفنا !وكم تلعب جماعة الإخوان المسلمين دورا مؤثرا فى تكريس هذا التخلف الفكرى والعملى ، وتعويق المجتمع عن النهوض والتغلب على التحديات لمواكبة العصر .

تبلور موقف الإمام محمد عبده من قضية تعدد الزوجات فى موقفين :

الموقف الأول : فى الفتوى التى أصدرها وهو يشغل منصب مفتى الديار المصرية ونشرها المنار فى الجزء الأول من المجلد الثامن والعشرين الصادر فى ٢٩ شعبان سنه ١٣٤٥هـ الموافق ٣ مارس عام ١٩٢٧م ص٢٩ - ٣٥ ونشرت فى الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ٢ص٩٠-٩٥ وهذه الفتوى كانت إجابة على ثلاثة أسئلة :

السؤال الأول : مامنشأ تعدد الزوجات فى بلاد العرب أو فى الشرق على الجملة قبل بعثة النبى (ص) ؟

السؤال الثانى : على أى صورة كان الناس يعملون بهذه العادة فى بلاد العرب خاصة ؟

السؤال الثالث : كيف أصلح نبينا (ص) هذه العادة ؟ وكيف كان يفهمها؟

الموقف الثانى : تفسير الأستاذ الإمام لآية التعدد والذى ألقاه فى الجامع الأزهر فى العام الذى توفى فيه [١٩٠٥] وهذا التفسير نشر بالأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ٥ ص١٦٧ - ١٧١

والآية هى قول الله سبحانه وتعالى : "وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا ، وإن خفتم ألاتقسطوا فى اليتامى ، فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن

خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألاتعولوا "[النساء٢ ، ٣]
ومن الفتوى وتفسير الآية يتضح رأى الأستاذ الإمام فيما يلى :

١- أن تعدد الزوجات ليس خاصية أصيلة من خصائص الشرق بدليل عدم وجوده عند شعوب التبت والمغول ، فى نفس الوقت الذى عرفه الغرب فى بعض مراحله ، وأباحه بعض البابوات لبعض الملوك فى أوروبا كشرلمان ملك فرنسا .

٢- أن هذا النظام ارتبطت نشأته بزيادة أعداد النساء على الرجال فى المجتمعات الحربية القديمة ومنها المجتمع العربى الجاهلى .

٣- أن الإسلام لم يقر عادات الجاهلية من هذا النظام ، فما كان عند العرب عادة ليس صحيحا أن الإسلام جعله دينا ، فقد عمد الإسلام إلى إصلاح هذا النظام بإلغائه تدريجيا حيث كان مباحا بلا حدود ، فوقف به الإسلام عند حد الأربعة وضيقه باشتراط العدل ، وهو أمر نادر الحدوث لا يصلح أن يتخذ قاعدة ، مما يعنى الاكتفاء بواحدة إلا لضرورة قصوى .

وإذا كان التعدد فى صدر الإسلام مفيدا فإنه اليوم يجلب المضار للأسرة وللأمة " فإذا ترتب على شئ مفسدة فى زمن لم تكن تلحقه فيما قبله فلاشك فى وجوب تغيير الحكم وتطبيقه على الحال الحاضرة " .

وفى تفسيره لآية التعدد انتهى إلى أن الدين أنزل لمصلحة الناس وخيرهم وأن من أصوله منع الضرر والضرار على أساس قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وبهذا يعلم أن " تعدد الزوجات محرم قطعا عند الخوف من عدم العدل " .

وتنتهى الفتوى بقول الشيخ محمد عبده : " وأما جواز إبطال هذه العادة – أى عادة تعدد الزوجات – فلا ريب فيه " .

فالشيخ محمد عبده يحسم الأمر بجواز منع تعدد الزوجات لندرة العدل وهو

شرط التعدد إلى جانب الأضرار التى تترتب على التعدد والتى تقع على الزوجات ، والأولاد حيث غلب سوء معاملة الأزواج لزوجاتهم عند التعدد ، وحرمانهن من حقوقهن فى النفقة والراحة ، وانتشر الفساد والعداوة بين الأبناء بسبب اختلاف أمهاتهم ، فكل واحد من الأبناء يتربى على كراهية الآخر " ويستمر النزاع بينهم إلى أن يخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدى الظالمين "

فمن حق الحاكم والعالم أن يمنع تعدد الزوجات ، باستثناء ما إذا كانت الزوجة عقيما ويريد الزوج الإنجاب ، فللقاضى أن يتحقق من قيام هذه الضرورة ويبيح للزوج الزواج بأخرى . [٢٤]

كان هذا هو الرأى المستنير للأستاذ الإمام محمد عبده فى أخريات القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين .

وإذا أردنا أن نبرز هذه الاستنارة ، ونوضح أننا بعد ذلك تخلفنا وعدنا إلى الوراء قرونا ، ولم نتابع أراء الأستاذ الإمام أو نطورها فعلينا أن نضع أمام هذا الموقف موقفا آخر للأستاذ حسن البنا بعد أكثر من ثلاثة عقود .

فى مجلة " الإخوان المسلمون " العدد ٢٤ السنة الثانية فى ٩ رجب سنه ١٣٥٣هـ الموافق ١٨ اكتوبر عام ١٩٣٤م وتحت عنوان : المبررات العلمية لمبدأ تعدد الزوجات فى الإسلام علق حسن البنا على كلمة كتبت بجريدة الأهرام العدد ١٧٨٩٦ ملخصها أن هناك من يطالب بتقييد تعدد الزوجات مستندا لمرونة الدين الإسلامى "

---

[٢٤] - الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ١ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة صـ١٧٤ - ١٧٧ ، جـ٢ صـ٩٠ - ٩٥ ، جـ٥ صـ١٦٧ - ١٧١ د. محمد عمارة الإسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده صـ٤٢ ، ٤٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٣٠ ، ١٣١ .

فإن خفتم ألاتعدلوا فواحدة " "ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتهم " .

ويرد حسن البنا بأن هذا الرأى مبنى على الاقتضاب المعيب ، لأن الإسلام يبيح تعدد الزوجات ، ولكنه يحيطه بأوامر مشددة فى وجوب العدل فيه .

ويحاول حسن البنا تبرير التعدد بمقدمتين :

المقدمة الأولى : أن كثيرا من الرجال جبلوا على أن لا يكتفوا بزوجة واحدة فإذا اضطروا للاكتفاء بواحدة سعوا إلى إشباع ميولهم من طريق غير مشروع فيذيع الزنا وما يتعلق به من الإغراءات والتسويلات وهتك الأعراض والتعرض للأمراض .

والمقدمة الثانية : أن الاجتماعات البشرية لاتزال ملتاثة ببقايا من الحيوانية فخير وسيلة لترقيتها أن نعترف لها بهذا الضعف ، وأن توفى مقتضياته فى شرعية مناسبة وأن يكتفى بالإشارة إلى المثل العليا لتسير نحوها تدريجيا – أما مطالبتها بالمثل العليا وهى فى هذا الدور ، وبناء شريعتها على موجبها ، فيفضى إلى أنها تتخذ من عادتها وأهوائها شريعة عملية تجرى عليها وتخبط فى مطالبها الجسدانية على غير هدى ، ولايستطاع ردها عنها ، فيضطر مشترعوها إلى الاعتراف بمشروعية تلك العادات . [٢٥]

وواضح من هذا التبرير أن حسن البنا يراعى نزوات الرجل ويخضع لأهوائه متجاهلا أن للمرأة أيضا نزواتها وأهواءها ، وهذا المنطق المنحاز للرجل – لوساد– سيلحق أضرارا فادحة بالأسرة والمجتمع وهو موقف جامد ومتخلف يهدم ما قدمه محمد عبده من اجتهادات مستنيرة تحافظ على الأسرة متماسكة وعلى المجتمع قويا معافى .

---

[٢٥] مجلة "الإخوان المسلمون" العدد ٢٤ السنة الثانية فى ٩ رجب سنة ١٣٥٣هـ ١٨ أكتوبر ١٩٣٤م تحت عنوان:المبررات العلمية لمبدأتعدد الزوجات فى الإسلام بقلم حسن البناص٣٠-٣٢

الطلاق بين التقييد والإطلاق

إن أبغض الحلال عند الله الطلاق ، فهو يهدم بيوتا كان مأمولا لها أن تتوثق روابطها وترتفع أعمدتها ، و تكون لبنة قوية فى بناء الأمة .

وفضلا عما ينتج عن الطلاق من تفكك الأسرة وإلقاء الزوجة إلى مصير حزين ومجهول فهو يشرد الأبناء ويحرمهم من دفء الأمهات وعطفهن ورعايتهن ، ويلقى بهم إلى متاهات ومكائد زوجات الأب .

لذلك كان من الواجب ألا تترك هذه اللبنة الأساسية فى بناء المجتمع لكى تعصف بها الأهواء فتهدمها ، بتركها مطلقة غير مقيدة فى يد فرد قد تدفعه نزوات غضبه أو حمقه إلى هدم الأسرة وتشريدها .

فكيف كان موقف بعض القادة الذين تصدوا للدعوة الإسلاميه من هذه القضية ؟

إن الشيخ حسن البنا فى موقفه من الطلاق لم يدع لإطلاقه ، كما لم يدع لتقييده للحد من نزوات الزوج ، وإنما دافع عنه باعتباره حلا ضروريا فى بعض الأحيان لا يعتريه إجحاف أو قلة إنصاف ، ويعتبره أمرا طبيعيا صارت إليه الأمم التى خالفته ونقدته باعتباره حلا للأسرة التى تعسرت علاقاتها .

فيذكر حسن البنا أن الإسلام أباح الطلاق بعد مراحل عدة : بعد صبر ومصابرة وجهاد ووعظ و إرشاد وهجر وبعاد وزجر واشتداد ثم تحكيم بين الطرفين ، ثم انتظار وتربص ، ليقع الطلاق على صورة لا تضر أحدا من الزوجين ، ثم فرص بعد ذلك لتعود الحياة الزوجية إلى وضعها الأول بعد هذه النزغة من الشيطان ، حتى إذا فقد الأمل وعجزت الحيل وتعذر الإمساك بالمعروف كان التسريح بالإحسان ، فماذا فى هذا الوضع من الإجحاف وقلة الإنصاف ؟

وحسبنا أن الأمم التى خالفت هذا الوضع ونقدته مر النقد ، قد صارت هى إليه و اتكأت عليه ، وجعلته من شرائعها الاجتماعية . [٢٦]

وحسن البنا لم يرفض تدخل الحكومة عن طريق القاضى – فى حدود انتداب حكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة للصلح قبل الطلاق ، ولكنه لم يشترط ضرورة موافقة القاضى على الطلاق فيقول :

" وفى الطلاق قال القرآن : " وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها " فإذا تدخلت الحكومة لتجعل القاضى وسيطا فى الصلح ينتدب حكما من أهله وحكما من أهلها قبل الطلاق ، كانت بذلك عاملة على تحقيق فكرة الإسلام كذلك " [٢٧]

ولذلك حين طالب مشروع القانون الذى مقدمه محمد على علوبة باشا– والذى سبقت الإشارة إليه–بتقييد الطلاق وتعدد الزوجات هاجمته مجلة"الإخوان المسلمون "

لقد كان محمد على علوبة باشا – وهو ذو اتجاه إسلامى – أكثر جرأة من حسن البنا فى علاج هذه المشكلة الاجتماعية ذات الأثر البعيد فى حياة الأسر .

فقد جاء فى البند الخامس والسادس والسابع من هذا المشروع ما نصه:

٥ – لا يجوز لمأذون أن يباشر إشهار الطلاق إلا بعد الحصول على قرار بذلك من قاضى المحكمة الشرعية الكائن بدائرتها مكان الزوج ، فإذا حصل الطلاق بدون إذن ترتبت عليه آثاره الشرعية وعوقب الزوج بالحبس مدة لا تزيد على ثلاثة أشهر وبغرامة لا تتجاوز عشرة آلاف قرش أو بإحدى هاتين العقوبتين .

---

[٢٦] مجلة " الإخوان المسلمون " العدد ١٣ السنة الثانية فى ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣ هـ ١٧ يونية سنة ١٩٤٤م تحت عنوان :" من أهداف الدعوة" بقلم حسن البنا ص٣ ، ٤

[٢٧] – مجلة " الإخوان المسلمون " العدد ١١ السنة الثانية ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٦٣هـ ٢٠ مايو سنة ١٩٤٤م بعنوان من أهداف الدعوة لحسن البنا ص ٤

٦- إذا أساء الزوج استعمال حق الطلاق جاز لمطلقته التى أصابها ضرر من ذلك أن تطالب بتعويض أمام المحكمة المدنية المختصة .

٧- إذا طلق الزوج زوجته مقابل مال أو عوض أيا كان نوعه جاز لها أن تطلب إلى المحكمة المدنية المختصة تقرير هذا المقابل ، وتحكم فى شأنه بما تراه متفقا مع العدل والإنصاف . [٢٨]

هذا الجدال حول تقييد الطلاق حدث فى منتصف القرن العشرين بينما فى نهائيات القرن التاسع عشر وقف الإمام محمد عبده موقفا أكثر جرأة وأكثر عقلانية و أكثر استنارة ، مما يعنى أننا نتخلف بدلا من أن نتقدم ، وذلك بفعل الوعى المغلوط للتيار الدينى الجامد .

فمحمد عبده قد راعه ما وجده من تقطع العلاقات داخل الأسر من خلال تجربته كقاض فى المحاكم باشر كثيرا من القضايا فى الأحوال الشخصية وعبر عن ذلك بقوله :

إننى " قد استنتجت بالاستقراء منذ كنت قاضيا فى إحدى المحاكم الجزئية أن نحو ٧٥ فى المائة من القضايا بين الأقارب بعضهم مع بعض ، بما لم يحمل عليه غير التباغض وحب الوقيعة والنكاية ، فهل من المعقول أن يكون الفساد فى العلائق الطبيعية إلى هذا الحد من التصرم (التقطع) ونتساءل عن تصرم العلائق الوطنية ؟!

هل يمكن بعد أن نفقد الروابط الضرورية بين العائلات أن نبحث عن الروابط للجامعة الكبرى؟!

أو ليس هذا كمن يطلب الثمر من أغصان الشجر بعدما جذ أصولها وجذورها ، وقطع أوصال عروقها ، وغادرها قطع أخشاب يا بسة ؟! .[٢٩]

---

[٢٨] - مجلة " الإخوان المسلمون " العدد ١٤ السنة الثالثة فى ١٨ رجب سنة ١٣٦٤هـ ٢٨ يونية سنة ١٩٤٥م تحت عنوان : مشروع تقييد الطلاق وتعدد الزوجات ص ١٨

[٢٩] - الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ٣ تحقيق د. محمد عمارة تحت عنوان : " التربية " صـ١٥٩ ودراسة محمد عمارة جـ١ ص١٧٠ .

صحيح أن هناك "تحولات" ومراحل انتقال من المجتمع الريفى إلى المجتمع التجارى الصناعى ، هذه "التحولات" تعمل على تحلل الروابط القديمة لتحل محلها روابط عامة تتعلق بالعمل أو السكن مثل النقابات والنوادى متجاوزة علائق البيوت والعائلات ، كما تحل قيم جديدة فى المعاملات المالية والنظرة إلى الحياة ، وهذه تترك آثارها فى خلق المنازعات بين الأقارب .

ولكن فى النهاية تبقى الأسرة كمؤسسة اجتماعية ولبنة أولى فى بناء المجتمع – من الثوابت والأصول التى يجب الحفاظ عليها وحمايتها من الاهتزازات والتفكك حتى يبقى المجتمع قويا ومتماسكا .

من هنا كان اهتمام محمد عبده بصيانة الأسرة بتقييد الطلاق وتعدد الزوجات وللأستاذ الإمام أكثر من موقف فى هذا الاتجاه:

ففى مشروع القانون الذى قننه للمحاكم الشرعية وضع سلطة الطلاق فى يد القاضى فى بعض الحالات التى منها : إذا تضررت الزوجة من غياب زوجها ، أو وقع عليها ضرر من الزوج " كالهجر بغير سبب شرعى ، والضرب والسب بدون سبب شرعى " وحدوث النزاع واشتداده مع عدم إمكان انقطاعه ...... الخ .

وتقول المادة الخامسة من القانون المقترح :

لا يصح الطلاق إلا إذا وقع أمام القاضى أو المأذون وبحضور شاهدين ولا يقبل إثباته إلا بوثيقة رسمية " .

ومما يذكر أن الشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر قد أقر هذا المشروع بقانون . وبعث برسالة إشادة للأستاذ الإمام . فى ٦ ربيع الآخر سنة ١٣١٨هـ ونشر قاسم أمين مواد المشروع فى كتابه المرأة الجديدة .[٣٠]

---

[٣٠] الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ٢ تحت عنوان الطلاق ص١٢٦ ، الإنفاق على الزوجة والتطليق على الزوج ص١٣٠ ، ١٣٢ + الإسلام والمرأة د . محمد عمارة ص٣٧ .

وفى تفسير الأستاذ الإمام لآيات الطلاق الواردة فى القرآن الكريم لا ينظر لقضية الطلاق باعتبارها شأنا خاصا بالزوج أو الأسرة وحدها ، بل يعتبرها شأنا عاما على مجموع الأمة أن تنهض به .

فهو يقرر أن الخطاب فى آيات الطلاق موجه لمجموع الأمة لا للفرد وحده وعلى ذلك فواجب الدولة أن تتدخل .

ففى تفسيره لقوله تعالى " فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله " يرى أن الخطاب فى مثل هذا للأمة لأنها متكافلة فى المصالح العامة ، و أولو الأمر هم المطالبون أولا وبالذات بالقيام بالمصالح والحكام منهم ، وسائر الناس رقباء عليهم . [٣١]

وفى تفسيره لقوله تعالى " وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن " يقول إن " الخطاب للأمة لأنها متكافلة فى المصالح العامة على حسب الشريعة .... والسر فى تكافل الأمة أن الأفراد إذا وكلوا إلى أنفسهم فكثيرا ما يرجحون أهواءهم وشهواتهم على الحق والمصلحة ، ثم يقتدى بعضهم ببعض مع عدم التكير فيكثر الشر والمنكر فى الأمة فتهلك ، ففى التكافل والتعاون على إزالة المنكر دفاع عن الأمة ولكل مكلف حق فى ذلك .[٣٢]

وفى تفسيره لآية النساء ٣٥ التى يقول الله سبحانه وتعالى فيها : " و إن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ، إن الله كان عليما خبيرا"

نجد أن الأستاذ الإمام يذهب إلى تقييد الطلاق بشكل واضح فيقول :

الخطاب للمؤمنين ، ولايتأتى أن يكلف كل واحد أو كل جماعة منهم ذلك ، ولذلك

[٣١] الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ٤ ص٦٣٩ + د . محمد عمارة الإسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده .ص٣٣ .

[٣٢] الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ٤ ص٦٥١، ٦٥٢ +د . محمد عمارة الإسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده .ص٣٣ ، ٣٤ .

قال بعض المفسرين : إن الخطاب هنا موجه إلى من يمكنه القيام بهذا العمل ممن يمثل المسلمين وهم الحكام "

وهذا التحكيم الذى ورد فى الآية الكريمة أشار إليه الأستاذ الإمام – استطرادا – فى رده على فرح أنطون صاحب مجلة " الجامعة " حين سأله عن رأى الشريعة الإسلامية فى التحكيم بين العمال وأصحاب الأعمال .

فذكر الشيخ محمد عبده أن التحكيم بين الزوج والزوجة واجب ولى الأمر وعلى جماعة المسلمين وإهماله يفضى إلى " فساد فى البيوت بين الأولاد والأقارب ، ومثل هذا الفساد مما يسرى وينتشر حتى يؤذى الأمة بتمامها فى صلاتها بعضها مع بعض" [٣٣]

وفى الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده الجزء الثانى فصل" الطلاق" استقصى الأدلة التى تؤكد رأيه فى تقييد الطلاق ومحاصرته وتضييق نطاقه باعتباره أبغض الحلال إلى الله .

فذكر أن شرعنا الشريف وضع أصلا عاما يجب أن ترد إليه جميع الفروع فى أحكام الطلاق وهو أن الطلاق محظور فى نفسه مباح للضرورة ، واستدل بقول على بن أبى طالب " تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش "

كما أشار إلى ما جاء فى حواشى ابن عابدين من أن الأصل فى الطلاق الحظر ، بمعنى أنه محظور إلا لعارض يبيحه ، فإذا كان بلا سبب أصلا لم يكن فيه حاجة إلى الخلاص ، بل يكون حمقا وسفاهة رأى ، ومجرد كفران بالنعمة وإخلاص الإيذاء بالمرأة و بأهلها و أولادها .

ويتساءل الإمام محمد عبده : " لم لا يأخذ مريد الإصلاح بمذهب الإمامية فى قولهم إن الطلاق لا يقع بالطلاق الثلاث ولا فى الحيض لأنه بدعة محرمة "

---

[٣٣] – د . محمد عمارة : الإسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده .ص٣٤ ، ٣٧ .

وهو يشترط النية لوقوع الطلاق فالطلاق لا يكون طلاقا إلا إذا كان مصحوبا بنية الانفصال كما يرى الطلاق جميعه واحدا رجعيا حتى ولو وقع ثلاثا فى مجلس واحد

وهولا يعتد بالطلاق الذى يقع بدافع الغضب محتجا بقول على بن أبى طالب: " من فرق بين المرء وزوجته بطلاق الغضب واللجاج فرق الله بينه وبين أحبائه يوم القيامة كما قال الرسول عليه السلام

" ويقول محمد عبده : "فالرجل إذا طلق زوجته فى حال الغضب أو النزاع لا يقع طلاقه " ويعلل لذلك بأننا فى زمان ألف رجال فيه الهذر بألفاظ الطلاق ، فجعلوا عصم نسائهم كأنها لعب فى أيديهم ، ولا يرعون للشرع حرمة ولا للعشرة حقا "

ويرى الإمام محمد عبده أن الطلاق لايصح بدون شهود .

فيتساءل : لم لايجوز – مع ظهور الفساد فى الأخلاق والضعف فى العقول وعدم المبالاة بالمقاصد – أن يؤخذ بقول بعض الأئمة من أن الاستشهاد شرط فى صحة الطلاق ، كما هو شرط فى صحة الزواج ، كما تشير الآية الواردة فى صورة الطلاق ، حيث جاء فى آخرها " و استشهدوا ذوى عدل منكم "

ثم يقول : لم لانقر أن وجود الشهود وقت الطلاق ركن بدونه لا يكون الطلاق صحيحا .

ومحمد عبده يرى أن تعليم المرأة وترقيتها سوف يساعد على احترام المرأة ومراعاة كرامتها ومحاصرة حالات الطلاق .

فيذكر أنه إذا ترقت المرأة وشعرت بجميع حقوقها فإنها لا تقبل أن تعامل بطرق القسوة والإهانة التى تعامل بها وهى جاهلة ، فيحس الرجل بأنه ليس من اللائق أن يستعمل حق الطلاق إلا عند الضرورة ، فتربية النساء مما يساعد على إصلاح أخلاقنا وتأديب ألسنتنا ، فإن الرجل يحتقر المرأة الجاهلة ، ولكنه يشعر رغما عن إرادته باحترام المرأة إذا وجد منها عقلا ومعرفة وعلوا فى الأخلاق فيعف لسانه عن ذكر مالا يليق بها ويؤدى لها حقوقها .

وهو لا ينتظر حتى يحقق الزمن ذلك بل يهيب بكل من يهتم بشأن أمته أن يعمل على تخفيف مضار الطلاق .

وهو يطالب بمساواة المرأة بالرجل بمنحها حق الطلاق حتى تنال ما تستحق من الكرامة نافيا ومبطلا مزاعم نقصان عقلها ودينها كمبرر لحرمانها من حقوقها .

يقول محمد عبده : مهماضيقنا من حدود الطلاق ، فلايمكن أن تنال المرأة ما تستحق من الاعتبار والكرامة إلا إذا منحت حق الطلاق ، ومنع الطلاق عن النساء لاختصاصهن بنقصان العقل والدين وغلبة الهوى إنما هى أسباب باطلة ، فإذا كان ذلك حال المرأة فى الماضى فلا يمكن أن يكون حالها فى المستقبل ، لأن كثيرا من الرجال أحط من النساء فى نقصان الدين و العقل وغلبة الهوى ، ومذهب الإمام مالك يستجيب لحق المرأة فى الطلاق .

ويستطرد الإمام محمد عبده لتاكيد رأيه فى منح المرأة الحق فى الطلاق مثل الرجل إلى القول : ولما كان تخويل الطلاق للنساء مما تقتضيه العدالة والإنسانية لشدة الظلم الواقع عليهن من فئة غير قليلة من الرجال لم تتحمل أرواحهم بالوجدانات الإنسانية السليمة كان لى الأمل الشديد فى أن يحرك صوتى الضعيف همة كل رجل محب للحق من أبناء وطنى خصوصا من أولياء الأمور إلى إغاثة هؤلاء الضعيفات المقهورات الصابرات .[٣٤]

أليس بعد هذا العرض المقارن يتأكد لنا أننا فى مجال الاجتهاد الدينى نتخلف وأن رواد النهضة كانوا أكثر استنارة فى فهم الدين وتفسيره مما ييسر الحياة ويجارى روح الدين فى اليسر والسماحة ومراعاة المصلحة ودفع الضرر ؟

إن هناك من يحاول أن يضع الأشواك فى طريق الإسلام ، ويحول يسره إلى تشدد تنطع مع أن الدين يسر " ولن يشاد الدين أحد رالاغلبية "

[٣٤] - الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده دراسة وتحقيق د . محمد عمارة جـ٢ ص١١٨ - ١٢٩

ثياب المرأة بين الحجاب والسفور

عندما نتحدث عن ثياب المرأة ، أو المرأة منقبة أو محجبة أو سافرة ، فنحن لا نتحدث إلا عن قطاع محدود من نساء المجتمع ، وهو قطاع الطبقة المتوسطة ، أما المرأة العاملة فى المدينة أو المرأة الريفية عاملة أو مساعدة لزوجها أو أبيها الفلاح فى الحقل فلا أظن أنها كانت – وهى تزرع وتروى وتحصد – منقبة أو أن حجابها كان يستر وجهها ويديها ، وكانت مع ذلك محتشمة مراعية تعاليم دينها اليسر وتقاليد بيئتها .

أما نساء الطبقة المتوسطة ، أو الفئات التى تتطلع إليها ، والتى يدور حولهن الجدل فيما يتصل بثيابهن ، فقد كن – حتى أخريات القرن التاسع عشر – يعشن فى معتقل الحريم ضائعات الكرامة والإنسانية ، حيث كانت المرأة حلية يتملكها من يقتنيها ، ومن حقه أن يلف حليته فى اللفائف وأن يحفظها فى الخزائن تابعة خاضعة لمن يقتنيها ، تتحجب إذا شاء لها سيدها أن تتحجب وتسفر إذا أمرها مولاها أن تسفر .

ثم كانت حركة اليقظة فى القرن التاسع عشر . وما أحدثته من تحولات فى الحياة و فى الفكر والسلوك ، وانفتحت أمام المجتمع المصرى آفاق التطور وإدراك ما عليه من تخلف يعوق تقدمه ، خاصة حين انفتحت أمامه نوافذ على مجتمعات أخرى تقدمت عليه وسبقته فى مختلف الميادين .

ومن هنا بدأت الدعوة لتعليم المرأة فأنشئت المدارس للبنين والبنات ، وقام رفاعة رافع الطهطاوى وعلى مبارك بدورهما فى هذا الاتجاه.

من هنا تهيأ المناخ لقاسم أمين للقيام بدعوته لتحرير المرأة و تعليمها ، فأصدر كتابه " تحرير المرأة " فى سنة ١٨٩٩م وكتاب " المرأة الجديدة " فى عام ١٩٠٠م.

ودارت حول دعوة قاسم أمين معركة فكرية هزت المجتمع المصرى والمجتمعات الشرقية من الأعماق ، وكان لهذه الدعوة أثر عظيم فى حياة الأمة حتى وصف قاسم أمين بمحرر المرأة ، "ولوثر" الشرق .

وقد تناول قاسم أمين فى كتابه الأول أربع مسائل : الحجاب واشتغال المرأة بالشئون العامة وتعدد الزوجات والطلاق .

وفى كتابه الثانى كان أكثر وضوحا فى الدعوة للأخذ بأساليب الحضارة الحديثة .

وأيد قاسم أمين قلة من المثقفين ، بينما عارضه الكثرة ، وعلى رأسهم مصطفى كامل ، ولكن دعوته لقيت رواجا فى أسر كبار الملاك وأصحاب رءوس الأموال والأسر المرتبطة مصالحها بهم .

وعن الكتاب الأول علق الشيخ على يوسف صاحب " المؤيد " بقوله:

" إننا نظن أن يكون ظهور هذا الكتاب مصدر تغير عظيم فى أفكار الأمة ، ينشأ عنه فيما بعد تغير أعظم فى أخلاقها " .

ويرى الدكتورمحمد عمارة فى دراسته التى قدم بها الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده كما ترى الدكتورة درية شفيق والدكتور إبراهيم عبده فى كتابهما عن " تطور النهضة النسائية فى مصر أن كتاب " تحرير المرأة " هو ثمرة عمل مشترك بين قاسم أمين والشيخ محمد عبده وأن فى الكتاب عدة فصول – فى رأى الدكتور محمد عمارة –كتبها الأستاذ الإمام وحده ، وعدة فصول أخرى كتبها قاسم أمين ثم صاغ الأستاذ الإمام الكتاب كله صياغته النهائية التى هى أقرب إلى أسلوب محمد عبده .

وهذا الرأى بنى على أساس أن محمد عبده عالج الناحية الدينية فيما يختص بحقوق المرأة بينما عالجها قاسم أمين من الناحية الاجتماعية التى أيده فيها محمد عبده .

وروت الدكتورة درية شفيق فى كتابها صفحات ٢٥٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ طبعة القاهرة عام ١٩٤٥ أنه حدث فى عام ١٨٩٧ أن اجتمع الأستاذ الإمام وسعد باشا زغلول ولطفى السيد وقاسم أمين فى جنيف ، وأخذ الآخير يتلو على الإمام بعض فصول من كتابه عن تحرير المرأة ، فكان يوافق على مافيها ، وقيل إن بعض فقرات من هذا الكتاب تنم عن أسلوب الشيخ محمد عبده نفسه.

وهذا الكتاب لم يطالب أن تعمل المرأة عمل الرجل وتتحرك معه فى الحياة العامة ، وفى مجال التعليم طالب بالمساواة بالرجل فى التعليم الابتدائى فقط ، وإن كان قاسم أمين فى كتابه " المرأة الجديدة " طالب بالمساواة التامة فى التعليم .

أما فى قضية الحجاب والسفور فإن قاسم أمين يرى أن الحجاب ليس من الإسلام فى شئ ، وأن الشريعة كليات وحدود عامة و لو تعرضت لجزئيات لما أخذت صبغة الدوام فى كل أمة فى كل زمان ، وأن الأحكام المبينة فى المعاملات والعادات تتغير حسب أحوال الزمان والمجتمعات على ألا يخل بالشريعة .

ورغم ذلك فلم يطالب قاسم أمين بالسفور بل دافع عن الحجاب ، وكل ما طلبه هو " الحجاب الشرعى " المنطبق على ما جاء فى الشريعة الإسلامية والذى يتمثل فى أن " تكشف المرأة وجهها وكفيها ونحن لا نريد أكثر من ذلك " [٣٥]

وقد أشار قاسم أمين إلى فضائل الحجاب ومحاسنه وضرر التبرج والتهتك ، ولكنه فى نفس الوقت أوضح مضار التشدد والمبالغة فى الحجاب ، وبين أن نجاح المسلمين متوقف على إزالة الحجاب المعهود فى الأذهان والموجود أثره فى العيان وأنه بهذا يعتبر مانعا من العلم .[٣٦]

---

[٣٥] - الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ١ دراسة وتحقيق د . محمد عمارة صفحات ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ + زكريا بيومى : الإخوان المسلمون ص٢٩٢

[٣٦] - أنور الجندى : تاريخ الصحافة الإسلامية جزء " ١ " المنار ص٢٧٦ - ٢٧٧

ورغم هذه المطالب المتواضعة والتى تجاوزها الزمن بعد ذلك بكثير وجد الكتاب معارضة شديدة ، فأصدر طلعت حرب كتابه " تربية المرأة والحجاب " للرد على " تحرير المرأة " وكتابه " فصل الخطاب فى المرأة والحجاب " للرد على كتاب " المرأة الجديدة " .

وأصدر فريد وجدى كتابه " المرأة المسلمة " أورد فيه آراءه التى تؤكد عدم المساواة والحفاظ على المرأة فى سجن الحريم فذكر : -

١- أن المرأة أضعف من الرجل جسما ، وأقل منه قبولا للعلم ، لأن وظيفتها الطبيعية تقتضى ذلك ، لا لأن تكون خاضعة للرجل .

٢- أن كمال المرأة موهبة روحانية ، هذا الكمال لاتناله المرأة إلا إذا كانت زوجة لرجل وأما لأطفال .

٣- أن اشتغال المرأة بأشغال الرجل قتل لمواهبها .

٤- أن الحجاب ضرورى للنساء لعلاج النوع الإنسانى .

٥- أن تعاليم الإسلام للمرأة موافقة لفطرتها تمام الموافقة .

٦- لا ينقص المرأة المسلمة لكى تبلغ أكمل نقطة يمكن أن ينال جنسها ألا تعلم مبادئ العلوم العصرية . [٣٧]

ولقد وقف الشيخ رشيد رضا فى أثناء حياة الشيخ محمد عبده - وهى الفترة التى كان يساير فيها آراء الأستاذ الإمام - موقفا مؤيدا للكتاب ، فقد تناوله بالمدح والتقريظ فى أكثر من مرة واعتبره مع "رسالة التوحيد " للأستاذ الإمام محمد عبده " وسر تقدم" الإنجليز السكسونيين " الذى ترجمه فتحى زغلول أهم الأعمال الفكرية فى ذلك العصر ، وذلك فى مجلة المنار الصادرة فى أول يوليو عام ١٨٩٩م كما تناولته المنار بالثناء فى عددى ١٥ يوليو ، ٢٦ أغسطس من العام نفسه [٣٨]

---

[٣٧] - المصدر السابق ص ٢٧٦ - ٢٧٧

[٣٨] - الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ١ دراسة وتحقيق د . محمد عمارة صـ٢٥٥

ولكن السيد رشيد رضا وقف بعد ذلك موقفا معاديا للمرأة ففى المنار مجلد ٢٠ تحدث عن اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل بأنه يشمل منكرات محرمة ولم ير من التمثيل إلا أنه يظهر المرأة فى أعين الرجال متبرجة كاشفة ما لا يحل كشفه لهم من أعضائها كالرأس والنحر وأعالى الصدر والذراعين والعضدين ، ومنها الاشتراك مع الرجال الممثلين فى أعمال تكثر فى التمثيل كالمعانقة والمخاصرة والملامسة بغير حائل ، ومنها غير ذلك من المنكرات كالتشبه بالرجال وتمثيل وقائع العشق والغرام المحرم ويرى رشيد رضا أن من عصيان المرأة أن تبدى ما خفى من زينتها فى التمثيل وأن ترقص مع الرجال .[٣٩]

وفى افتتاحية المنار المجلد ٣٠ الصادر عام ١٣٤٨هـ ١٩٢٩م هاجم دعاة التجديد ودعوتهم لتحرير المرأة ، واصفا هذه الدعوة بأنها فوضى النساء ، ووصف السفور بالتهتك لأن النساء من ربات البيوت ومن العذارى المتعلمات يمشين في الشوارع بالليل والنهار مخاصرات للرجال ، ويغشين الملاهى والمتنزهات ، ومنهن من يسبحن فى البحر ويختلفن إلى المراقصة وهن أشد من الأجنبيات عريا وتهتكا[٤٠]

وفى المجلد ٣٣ من المنار هاجم دعاة التجديد أيضا لدعوتهم لتحرير المرأة ، واتهمهم بالإباحية والإلحاد بزعم أنهم يتوجهون بدعوتهم للنساء والشباب يشوهون لهم كل قديم كانوا عليه ، ويزينون لهم كل جديد ضار بعروبتهم ، ولا سيما حجاب النساء وعفافهن ولزوم بيوتهن وطاعة رجالهن ، حتى هتكن الحجاب ، وألقين جلابيب الحياء ونشز الأزواج على بعولتهن ، وتمرد العذارى على آبائهن ، وخروجهن فى الشوارع والأسواق كاسيات عاريات مائلات مميلات .

---

[٣٩] - أنور الجندى : تاريخ الصحافة الإسلامية جا المنار صـ٢٧٥- ٢٧٦

[٤٠] - المرجع السابق ص ٩٩

ثم استنكر حفلات الجمعيات النسوية ، لما فيها من رقص وخمور ، واستنكر خروج النساء إلى سواحل البحار ، ولم ير منه إلا أنهن يخرجن بمآذرالحمام يجتزن الشوارع فرحات مرحات ، حتى إذا التقين بالرجال على الشاطئ خاصرنهم إلى حيث يسبحن معهم فنونا من سباحة الإباحة ، لم يبق معها للدين ولا للشرف ولا للعفاف ولا للصيانة قيمة . [٤١]

ويأتى بعد ذلك التطور الاجتماعى ، خاصة أحداث ثورة ١٩١٩ لتكنس هذه الأفكار المقيدة لحرية المرأة . بل وتتجاوز بكثيردعوة قاسم أمين التى استنفذت أغراضها بعد التطور السريع الذى أحدثته الحرب العالمية الأولى وأحداث الثورة .

وقد وصف هذا التطور أحد الكتاب الإسلاميين حين قال : خلعت المرأة النقاب ثم استبدلت المعطف الأسود بالحبرة ، ثم لم تلبث أن نبذت المعطف وخرجت بالثياب الملونة ، ثم أخذ المقص يتحيف هذه الثياب فى الذيول وفى الأكمام وفى الجيوب ولم يزل يجور عليها ، فضيقها على صاحبتها حتى أصبحت كبعض جلدها ، ثم إنها تجاوزت ذلك كله إلى الظهور على شواطئ البحر فى المصايف بما لايكاد يستر شيئا ... وامتلأت المصانع والمتاجر بالعاملات والبائعات وحطم النساء الحواجز التى كانت تقوم بينهن وبين الرجال فى المسارح وفى الترام وفى كل مكان

تتابعت هذه التطورات فى سرعة مذهلة ، ولم تدع فرصة للمعارضة ، وأعان على اندفاعها جو الثورة التى تلت الحرب ، وما كان يوحى به من جرأة ومن تمرد على كل قديم .

وقد ظهرت طلائع ذلك فى مظاهرة النساء المشهورة عام ١٩١٩ التى طافت بشوارع القاهرة هاتفة بالحرية فى طريقها إلى دار المعتمد البريطانى ، لتقدم إليه احتجاجا مكتوبا على تعسف سلطات الاحتلال ، وقد كان عدد المتظاهرات فيها

---

[٤١] – المرجع السابق صـ٢٧٥

يربو على الثلاثمائة ، وعلى رأسهن صفية زغلول حرم سعد زغلول باشا وهدى شعراوى حرم على شعراوى باشا " [٤٢]

لقد أضفى جو الثورة لونا من النبل على حركة النساء هذه ، فحفظها من أن تهاجم أو تمس ، وألجم المحافظون والمعارضون حيث اكتسحهم تيار الحياة ، إذ يصبحون ، وقد أحاط بهم ما يكرهون وما يحاربون فى أشخاص بناتهم وزوجاتهم وأخواتهم ، حتى بدا التناقض واضحا بين ما يقولون وبين ما يجرى فى بيوتهم .

ولعبت الصحف دورا حاسما فى هذه المعركة ، بما كانت تنشر من صور للجمعيات النسائية وللأزياء ، وما كانت تروى من أخبار النشاط النسوى ، ومن تطورات الانقلاب الكمالى فى تركيا وآثاره فى المجتمع النسوى .

صورت الصحف المحافظين فى صورة الرجعى المتزمت ضيق الأفق الذى يريد أن يحرم الحياة من مباهجها ليردها إلى كآبة الصحراء و إلى ظلام الأدغال وكان لهذا أثره على الشباب .

وفى مواجهة ذلك هاجمت مجلة الشبان المسلمين منذ صدورها السفور ، ولم تقف جماعة الإخوان المسلمين عند مناهضة الدعوة نظريا ، بل انتقلت إلى أسلوب تطبيقى بإنشاء مدرسة أمهات المؤمنين بالاسماعيلية وألحق بها قسم للأخوات المسلمات ، واعتبرت السفور تبرجا وخلاعة .

ومع ذلك فقد عجزت صيحات المحافظين عن الوقوف فى وجه هذا التيار .

كانت المرأة فى تلك الفترة تتوثب طموحا وتحفزا ، فحطمت قيود الحريم ، وأوشكت أن تسترد كرامتها المفقودة وإنسانيتها الضائعة ، وجاهدت فى كل الميادين، لا يرضيها القليل الذى نالته لأنه أقل من قدراتها .

وهكذا انتصر تطور الحياة لدعوة قاسم أمين ، بل تجاوزها إلى الحد الذى

---

[٤٢] – د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر جـ٢ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨

عبر عنه الدكتور محمد عمارة عندما تحدث عن أثر التطور الاجتماعى على القضايا التى تناولها كتاب تحرير المرأة ، وكيف لعب الزمن فى تمييز الجيد من الردىء فى هذه القضايا فقال :

فنحن عندما نتصفحه الآن بعد مضى ما يقرب من ثلاثة أرباع القرن [كان هذا فى السبعينات] على صدوره نبتسم بل ونضحك من المعارضة الشديدة التى قوبل بها هذا الكتاب ، ونتخيل الانفعالات والمواقف التى سيقفها معارضوه عندما توضع أمامهم صورة مجتمعنا هذه الأيام .

وبنفس المقارنة تحدث د . محمد عمارة عن كتاب " الإسلام وأصول الحكم " لعلى عبد الرازق وكتاب فى الأدب الجاهلى لطه حسين فقال :

لعل أحدا لا ينكر اليوم أن التطور السياسى والاجتماعى قدانتصر لفكر على عبدالرازق ضد دعاة إحياء الخلافة الإسلامية فى أسرة محمد على ، بعد أن محاها أتاتورك من أسرة آل عثمان ، كما أن التطور الفكرى قد انتصر للمنهج الذى تبناه الدكتور طه حسين فى كتابه " فى الأدب الجاهلى " ...... إن لم يكن قدتجاوزه إلى مناهج أخرى أكثر منه تقدما . [٤٣]

ولكن المحافظين – بعد أن تراخت اندفاعات الثورة – بدأت صيحاتهم تتعالى منادية بعودة المرأة إلى عصر الحريم وانتقلت هذه الدعوة إلى مجلس النواب .

ففى مضبطة مجلس النواب فى ١٩٣٩/٣/٢٨ طالب بعض النواب بإلغاء السفور ، ووقف الفساد ، وألقوا بالمسئولية على هيكل باشا وزير المعارف .

وأيدت مجلة " النذير " هذه المطالب بتاريخ ٢٥ربيع الأول ١٣٥٨ بعنوان : من المسئول عن تدهور الأخلاق فى البلاد ؟ بقلم صالح عشماوى

وطالبت " النذير " فى ١٧ ربيع الثانى عام ١٣٥٨ هـ شركة ترام القاهرة بتخصيص عربات للسيدات .

---

[٤٣] – الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ١ دراسة د. محمد عمارة صـ ٢٤٥ ، ٢٤٦

وهاجمت مجلة " القلم الصريح فى " ٢/٩ ، ٢/١٦ ، ١٩٣٩/٤/٦ الجمعيات النسائية وهدى شعراوى والقوى المؤيدة لها .

ورَغم أن جماعة الإخوان المسلمين وقفت ضد السفور فقد زايدت عليها جماعة شباب محمد وهاجمتها واعتبرتها متساهلة .

ونسى رشيد رضا ثناءه وتأييده لدعوة قاسم أمين - أثناء حياة محمد عبده - فهاجم دعاة تحرير المرأة - كما سبق القول - وهاجم خروج المرأة من البيت وذهابها إلى سواحل البحار واعتبر اشتراكها فى التمثيل من المنكرات المحرمة ، وإبداء زينتها عصيانا يدخلها النار .

وفى هذا الطريق بل أشد منه محافظة - سار حسن البنا .

ففى حديث الثلاثاء قال إن كشف وجه المرأة ويديها حرام إلا إذا أمنت الفتنة فيجوز لها ذلك ، كما يرى أن إبداء الزينة حرام .[٤٤]

وفى حديث للشيخ المراغى شيخ الأزهر عن ثياب المرأة نشرته مجلة روز اليوسف وعقب عليه حسن البنا فى مجلة النذير بالعددين ١٨ ، ١٩ السنة الثانية الصادرين فى غرة جمادى الأولى ، ٨ من نفس الشهر عام ١٣٥٨هـ يتضح أن حسن البنا كان أكثر تحفظا من شيخ الأزهر .

ففى العدد ١٨ يقول شيخ الأزهر :

يجوز للمرأة أن تكشف الوجه والكفين خارج الصلاة

ويعقب حسن البنا بأن فى هذا الحكم خلاف وليس على إطلاقه، فمن الفقهاء من اعتبر جسم المرأة كله عورة حتى الوجه والكفين ، وكل من أجاز كشفهما اشترط لذلك أمن الفتنة فإذا لم تؤمن الفتنة لم يجز ذلك أمام غير المحرم "

وقال شيخ الأزهر : أجمع الفقهاء على أنه إذا كانت المرأة جميلة وكان فى

---

[٤٤] - حسن البنا : حديث الثلاثاء صـ٣٦٩ ، ٣٧٠

وجهها مايثير الفتنة وجب على الرجل أن يغض بصره .

ويتعجب حسن البنا من إجابة شيخ الأزهر فيقول :

" وهذا غريب ، والمقدمة فيه لا تعطى هذه النتيجة أبدا ، فإن المعقول . وهو الحكم شرعا – أن يقال : وجب على المرأة أن تغطى وجهها وألا تكشفه للرجال حتى يفتتنوا بها .

و يستطرد شيخ الأزهر إلى القول :

كذلك العكس ، فإذا كان فى مظهر الرجل مايثير الفتنة وجب على المرأة أن تغض بصرها .

ويعقب حسن البنا : أما وجوب غض البصر من المرأة فهو واجب عليها على كل حال كذلك ، سواء أكان فى مظهر الرجال ما يثير الفتنة أم لا ، وأما إذا كان فى مظهر الرجل مايثير فتنة ، فإن حكم الشرع فى ذلك أن يعمل هذا الرجل من جانبه على تخفيف مظاهر الفتنة وإزالتها ، فيحلق شعره إن كان يرجله ويرسله ، ويلتحى إذا كان حليقا .

شيخ الأزهر:[موجها كلامه لمراسل روزاليوسف] "ولعل فى مقدورك أن تفهم من هذا أنه إذا كان الرجل واثقا من نفسه وقد أمن الفتنة جازله النظر إلى وجه المرأة "

حسن البنا : إن المعروف من أحكام الإسلام أمر الرجال والنساء بغض النظر مطلقا حتى مع أمن الفتنة ، فهذه الإباحة تتنافى مع هذا الأمر .

شيخ الأزهر :أما فى حال الخوف – وكثير من الرجال من يخاف عليهم – فقد وجب عليه ألا يطيل النظر .

حسن البنا : فى هذا التعبير كثير من المرونة ، والحكم فى ذلك أن يقال : فقد وجب عليه ألا ينظر .

شيخ الأزهر : ويختلف الفقهاء بالنسبة للمرأة الجميلة ، فبعضهم يرى أنه

إذا كانت المرأة جميلة فاتنة وجب عليها أن تستر وجهها ، ومن هذا نشأ البرقع والخمار واليشمك وغيرها .

حسن البنا : لا أظن أن أحدا من الفقهاء خالف الآخر فى وجوب الاستتار على المرأة الجميلة [يبدو أن جمال المرأة – فى نظر حسن البنا – لعنة عليها] وتعليل نشأة الخمار والبرقع واليشمك بوجود هذا الرأى للفقهاء فيه نظر ، فإن التنقب والتقنع كان على عهد رسول الله (ص) وأصحابه ، وكان علامة الحياء عند نسائهم .

شيخ الأزهر : ولكن فريقا من الفقهاء لا يرى على المرأة تغطية الوجه ، ويرى أن فى هذا تشددا وغلوا ، بل ويرى أن تغطية الوجه مكروه فى الدين .

حسن البنا : لم اسمع بهذا الرأى عن أحد فقهاء المسلمين ، وبالتالى لا أعلم من هم هؤلاء الفقهاء [٤٥]

وفى تعقيب الشيخ حسن البنا لا يبدو أكثر تحفظا فحسب ، بل هو يناطح شيخ الأزهر بنظرة استعلاء وبنبرة من يملك وحده المراجع العليا .

وفى هذا التعقيب استنكرحسن البنا – فى العدد التالى من النذير – اشتراك الطالبات بالمدارس فى التمثيل والرقص التوقيعى ، وطالب شيخ الأزهر بإصدار فتوى تحرم الحفلات التمثيلية بمدارس البنات لأنهن يلبسن ثيابا كاشفة .[٤٦]

---

[٤٥] – مجلة النذير العدد ١٨ فى غرة جمادى الأولى سنه ١٣٥٨هـ السنة الثانية صـ١١ – ١٣

[٤٦] – مجلة النذير العدد ١٩ السنه الثانية ٨ جمادى الأولى سنه ١٣٥٨هـ صـ١٦

وكان الشيخ محمود أبو العيون من أكثر المشايخ محافظة - وأشدهم مهاجمة لحرية المرأة وأسرعهم إلى التضييق عليها وله حملات فى الصحف ضد ظهورها على الشواطئ فى المصايف .

وقد نشرت مجلة المصور فى عدد الجمعة ١٩ جمادى الأولى عام ١٣٥٨هـ حديثا مع الشيخ مصطفى عبدالرازق وزير الأوقاف حينئذ ، وفى نهاية الحديث سأله محرر المصور :

ما رأى معاليكم فى مقترحات الشيخ أبى العيون بخصوص الآداب على الشواطئ ؟

وأجاب الشيخ مصطفى عبد الرازق بقوله :

أنا لا أقر فضيلة الأستاذ الشيخ أبى العيون على هذه المقترحات ولا أذهب مذهبه .... وأرجو أن ترجئ الحديث فى هذه المسألة إلى فرصة أخرى لأنها تحتاج إلى كلام طويل "

ولم تترك مجلة النذير هذا الحديث يمر دون تعليق وهجوم على الشيخ مصطفى عبدالرازق بسبب نظرته المستنيرة ، واجتهاده فى فهم الإسلام بما يستجيب لمتطلبات العصر .

عقبت النذير على هذا الحديث بأن الشيخ مصطفى عبدالرازق عودنا أمثال هذه الأحاديث والمواقف التى تبعد عن الإسلام أحيانا ، فما عدنا ندهش مما يقول و يفعل ، و لقد عرف الناس جميعا عصريته التى قد تخالف الحياة الإسلامية الصحيحة وخروجه وتسامحه فيها ..... ولكن ما أدهشنا فى هذا الحديث أننا ماكنا نتصور أن يذهب الشيخ مصطفى عبدالرازق إلى هذا الجواب الملتوى ، كنا نتصور أنه موافق مثلا على اختلاط الجنسين فى الجامعة ، وكنا نتصور مثلا أنه داعية من دعاة حرية الفكر كما يفهم هذه الحرية ، ، ولكن ما كنا نتصور مطلقا أن الشيخ

مصطفى عبدالرازق لا يقر الشيخ أبا العيون على اقتراح من مقترحات يرمى بها إلى القضاء على الزنا العلنى الذى يرتكب فى الشواطئ أمام بصر الحكومة وسمعها، ما كنا نظن مطلقا أن الشيخ مصطفى عبدالرازق خريج الأزهر الأغر يسكت عن إبداء رأيه فى مقترحات الشيخ أبى العيون بما يفهم منه عدم رضاه عنها

وانتهت المجلة إلى القول :

لقد كان أولى بك السكوت أو الإجابة بحزم . [٤٧]

ولكن هذه الصورة الظلامية شديدة الغلو والتضييق على المرأة والتى عبر عنها مرشد الإخوان المسلمين وأجهزة إعلامه ليست هى الجانب الوحيد .

بل نجد إلى جوارها موقفا آخر يتسم بالتفتح واليسر ومن داخل جماعة الإخوان أيضا .

فالشيخ محمد الغزالي فى وقفة استرجاعية تأمل حال المرأة فى القرون الأخيرة ، وكيف تدهور تدهورا تنكره تعاليم الإسلام ، حتى انحصر نشاطها فى نطاق المتعة الحيوانية والحضانة الغريزية ، وهو يعزو هذا الوضع إلى الغيرة المجنونة التى تنكرت لتعاليم الإسلام وسنت قانون الحجاب الذى قضى على المرأة أن تنكمش وتتلاشى ، وتقضى حياتها وهى أشبه بسقط المتاع . [٤٨]

ويرى الشيخ الغزالى أن التقاليد الاجتماعية التى تتصل بوضع المرأة وتكوين الأسرة لابد من إعادة النظر فيها لتستقيم مع ديننا وأحكامه الصحيحة .

فيذكر أنه أحد الذين حاربوا تقاليد الغرب الجنسية وجاهليته الذميمة فى إشباع الغرائز من الحرام " إلا أنه حدث ما جعلنى أطيل الفكرة فى العلاقة بين

---

[٤٧] - مجلة النذير العدد ٢٢ السنه الثانية فى ٢٩ جمادى الأولى عام ١٣٥٨ هـ تحت عنوان : " حديث عجيب للشيخ مصطفى عبدالرازق " صـ١٠

[٤٨] - محمد الغزالى : حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربى صـ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

الجنسين ومكانة المرأة فى بنائنا الاجتماعى ، لقد رأيت البعض يؤكد أن المرأة قعيدة بيتها لا تخرج منه أبدا إلا إلى الزواج أو إلى القبر .... !!

قلت أهذا هو البديل الإسلامى عن حالة المرأة فى الغرب - بشقيه الشيوعى والرأسمالى .

لا . الإسلام غير ذلك .... إن قرون التخلف التى مرت بنا انتهت فى القرن الماضى بوضع للمرأة المسلمة لا يقول به فقيه مسلم !

لقد رأيت المرأة فى بلادنا لا تدخل مسجدا أبدا ، بل فى قرانا وكثير من المدن كانت المرأة لا تصلى ، وهى إلى جانب هذا الحرمان الروحى كان التعليم محرما عليها ، فلا تدخل مدرسة أبدا ، وقلما يؤخذ لها رأى فى الزواج ، ويغلب أن يجتاح ميراثها .

وإذا انحرف الشاب تسوهل معه ، أما إذا انحرفت المرأة فجزاؤها القتل !

هل هذه المعالم المنكورة لحياة المرأة تنسب إلى الإسلام ؟

الله يعلم أن الإسلام برىء من هذه التقاليد ، كما هو برىء من المفاسد الجنسية فى أوروبا وأمريكا ! .... ومع ذلك فإن منتسبين إلى الإسلام وعلومه يرتضون هذه الأحوال أو لا يتحمسون لتغييرها .

وأذكر أنى كنت ألقى محاضرة فى اليوم العالمى للمرأة ، فلما قلت : إن وجه المرأة وصوتها ليسا بعورة ، حدثت ضدى مظاهرة صاخبة ، وسمعت طالبا يقول لزميله :

كنا نحسن الظن بهذا الرجل ، فإذا هو شر من قاسم أمين !

ولست - ولله المنة - مفرطا فى دينى ، ولكنى مشفق على حاضره ومستقبله من الجهال و القاصرين لا سيما إذا واتتهم فرصة ، فتحدثوا عنه وتكلموا باسمه .

فليس فى كتـاب الله ولا فى سنة رسوله (ص) أن وجه المرأة عورة يجب أن تستر ، ولا فى كتاب الله تعالى أو سنة رسوله (ص) أنها تمنع من دخول المساجد .

إن ناسا غلبهم الهوس الجنسى هم الذين شرعوا هذه التقاليد ، بعدما تعسفوا فى شرح الآى بتفاسير مرفوضة ، تفاسير لم يقل بها واحد من الأئمة الأربعة الذين انتشر فقههم فى طول البلاد وعرضها .(٤٩)

والدكتور ابراهيم بيومى مدكور الوزير السابق ورئيس مجمع اللغة العربية السابق و زميل حسن البنا بكلية دار العلوم يرى أن المرأة المسلمة كانت سافرة ووصف انتشار الحجاب بأنه حالة من التظاهر لاينبع من صدق اليقين أو صدق الدين

ففى تحقيق صحفى مع مجلة المصور سأله مندوبها عن تفسيره لظاهرة انتشار الحجاب الآن فأجاب : "إنها حالة من التظاهر وهذا ليس صدقا لا فى اليقين ولا فى الدين ، المرأة المسلمة كانت سافرة .. السيدة عائشة دخلت الحرب وكانت تركب ناقتها وهى زوج الرسول .. لم ننسى هذا الكلام ونعود إلى الوراء حتى نصل إلى آخر الدنيا ؟ لماذا هذه الرغبة فى العودة إلى الماضى البعيد ؟

وحين سأله المحرر : أنت أستاذ فلسفة إسلامية ، الظلاميون يرددون دائما أن ابن تيمية وابن قيم الجوزية منبع فكرهم

أجاب : مكانة ابن تيمية كمفكر إسلامى أنه أدرك حقائق الإسلام على وجهها ، وكل ما هناك ربما كان أقرب إلى المحافظة منه إلى التوسع ، لكن لا شك أن ابن تيمية وابن قيم الجوزية قدوتان ، ويجب أن نقرأهما على حقيقتهما ، وأن نفهمهما للناس على أنهما مصلحان لا على أنهما مضيقان . الخطأ هو عدم فهمهما على وجههما الصحيح ، وليس الخطأ فى الفكر الذى يقدمانه.(٥٠)

---

(٤٩) محمد الغزالى : هموم داعية ص ١٤٩– ١٥١

(٥٠) مجلة المصور العدد رقم ٣٤٢٨فى ١٩٩٠/٦/٢٢ تحقيق صحفى مع الدكتور ابراهيم بيومى مدكور

و من خلال هذا العرض السابق يتضح زيف ما يستند إليه الظلاميون من غلو ، وكيف أنهم يقفون عقبة أمام حرية المرأة ومساواتها بالرجل عاملين على تكريس تبعيتها وحصرها فى سجن الحريم ، وهم بذلك يحرمون المجتمع من طاقات و حيوية نصفه ، فيشدونه بالأغلال إلى الوراء .

ورغم ذلك – فبالوعى المغلوط – حقق الظلاميون انتصارات فأخذت المرأة بنفسها فى الجيل الحالى تتشكك فى جدوى التعليم ، وترتاب فى مشروعية حقوقها الإنسانية من حيث هى مواطنة ، فقد جعل الرجل من نفسه سيدا ، وجعلت المرأة من نفسها تابعة ، وذلك هو " الوأد " ليس لواحدة بل للجنس كله ، وإذا كان عجبا أن يدعى الرجل لنفسه ما يدعيه فأعجب منه أن تستجيب المرأة بقولها أمين ! فالمرأة اليوم تتبرع سلفا بحجاب نفسها قبل أن يأمرها بالحجاب والد أو زوج ، فكأنها تصيح فى الناس : هاهى ذى سلعة من عهود الحريم لمن يشترى ! مع أن المسكينة لا تدرى بأية سرعة سريعة يتحول حجاب الوجه ليصبح حجابا للفكر كذلك ؟ فالظاهر له تأثيره فى الباطن ، فحجاب الوجه يستتبعه حجاب للروح ، كما يستتبع سفور الوجه سفور للروح ، فالحركات الجسدية الظاهرة فى الصلاة ركوعا وسجودا سرعان ما تشيع فى قلب العابد ضراعة و خشوعا ، ولعل ذلك بعض ما تعنيه الآية الكريمة من أن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر و البغى ، فحركات الجسد يتولد عنها شعور قلبى باطنى فيه خشوع العابدين .

ويعلق الدكتور زكى نجيب محمود على هذه الردة فيقول :

ولتغفر لى مواطنا تى اللاتى أخذتهن ردة إلى عهود الحريم وامتلأت نفوسهن بوساوس الشك فى صلاحية المرأة لمشاركة الرجل مشاركة الأنداد فى كل شئ ، فى العلم و العمل ، فى الفكر و الفن و الأدب ، فى السياسة و الحكم ، فى التجارة والصناعة ، فى المغامرة و الكفاح ، نعم لتغفرلى أولئك المواطنات – وهناك منهن

اليوم عشرات الألوف – إذا قلت إننى كلما رأيت منهن واحدة انزلقت بضعفها - تطوعا – إلى هوة الماضى ، تذكرت ما كتبه "شوبنهاور" عن المرأة سائلا نفسى، أيكون ذلك الفيلسوف الألمانى قد أصاب الرأى فيما وصف به المرأة ؟

ويرجو الدكتور زكى نجيب محمود أن تتلمس كل قارئة فى نفسها رد الفعل عما كتبه شوبنهاور ، فإن وجدت نفسها غاضبة مما يدعيه شوبنهاور عنها وعن بنات جنسها ، كان الأمل كبيرا فى أن تنفض عن عقلها ما غشاه لتعود إلى استئناف طريقها إلى الحرية التى كانت سالفتها قد رفعت لها لواءها .

يقول شوبنهاور : إن المرأة بحكم تكوينها لا تستطيع أن تضطلع بالمنجزات الكبرى ، الجسمى منها و العقلى على حد سواء ، فرسالتها فى الحياة منحصرة فى الإنسال ورعاية الأطفال ، مع وجوب طاعتها للرجل وخضوعها له ، فقد أرغمتها طبيعتها على أن تسلك فى حياتها سبيلا مطمئنة وادعة ، لا تصادف فيها ما يصادفه الرجل فى حياته من التطرف فى اللذة وفى الألم كليهما ، وإذا كانت الحياة قد ركنت إلى المرأة فى أن تكون أداة تتعهد الصغار فى طفولتهم الباكرة ، فمعنى ذلك أنها قد أعدتها إعدادا عقليا يلائم الغرض من وجودها ، فجاءت ضعيفة العقل، قصيرة النظر ، حتى لكأنها طفل كبير لكى يتم بينها وبين أطفالها شئ من التناسق، أو إن شئت فقل إنها مرحلة عقلية بين الطفولة و الرجولة ، فالرجل هو الكائن البشرى الحق ، الذى قصدت إليه الحياة – ومعلوم أنه كلما ارتفع الكائن الحى فى درجات الكمال كان أبطأ وصولا إلى مرحلة النضج ، فبينما المرأة يكتمل نضجها فى

سن الثامنة عشرة نرى الرجل لا يتم له النضج إلا فى الثامنة و العشرين ، على أن نضج المرأة بعد أن يكتمل ، لا يجعلها تحقق من القدرة العقلية إلا قدرا محدودا ، لا يمكنها من أن تنفذ إلى حقائق الأشياء ، ولذلك كان من السهل انخداعها بالظواهر ، وتراها منشغلة بتوافه الأمور دون الهام منها و الخطير ، وكذلك تتميز المرأة بأنها تعيش فى حاضرها فقط ، لأنها تعجز عن الامتداد بفكرها إلى الماضى و إلى المستقبل ، فبالقوة العقلية وحدها يستطيع الرجل أن يحطم حدود الزمن التى تقيد المرأة كما تقيد الحيوان .

ولعل هذه الخاصية فى الرجل ، وأعنى قدرته على مجاوزة اللحظة الحاضرة إلى الماضى ، وإلى المستقبل حتى يضم الزمان من الأزل إلى الأبد بنظرة واحدة ، هى التى كثيرا ما تصيبه بانقباضة المهموم ، وهى انقباضة لا تعرفها المرأة ، وهى تنعم بلحظتها الحاضرة ، غير حافلة بما قد يأتى به غد من ويلات وكروب .

و المرأة فى ذلك تشبه الحيوان الأجهر (ضعيف البصر) الذى يرى ما هو قريب منه فى دقة ووضوح ، ولكن بصره لا يمتد إلى بعيد ، أى أن المرأة قد تستطيع أن ترى الحوادث الجارية حولها أدق مما يراها الرجل ، لكنها عاجزة كل العجز عن اجتياز الحاضر إلى وراء وإلى أمام ، ولعل فى ذلك يكمن السر فى إسرافها الذى قد يبلغ بها حد الحماقة و السفه "

ويجب أن ننبه القارئ إلى أن موقف شوبنهاور من المرأة إنما كان رد فعل للخصومة بينه وبين أمه فقد كانت أديبة مشهورة ولعلها أحست بالغيرة حين سطع نجم ابنها فنشب بينهما خلاف أدى بالأم إلى أن تطرد الابن من دارها فخرج وهو

يقول لها : إن التاريخ لن يذكرك إلا من حيث كنت لى أما .

ويعقب دكتور زكى نجيب محمود على رأى شوبنهاور بأن المرأة فى حقيقتها إنسان ، ولكنها لو كانت على حقيقتها تتمثل فى المرأة المصرية التى أصابتها فى أيامنا هذه نكسة ارتدت بها إلى ما قبل وثبتها التى شهدناها فى مرأة الجيل الماضى لاستحقت ما قاله عنها ذلك الفيلسوف .

فالذى نلاحظه فى هذه المرأة المرتدة هو أنها قد تتعلم لكنها تتعلم غير مؤمنة بما تعلمته، وقد تشارك فى ميادين العمل لكنها غير مؤمنة بجدوى العمل ، فهى آخذة فى الضمور العقلى والوجدانى إلى مصير لا يعلمه إلا رب العالمين .(٥١)

إن أبشع جوانب الردة فى حياة المرأة المصرية اليوم هو أنها تريد أن تجعل من نفسها وبمحض اختيارها حريما يتحجب وراء الجدران أو يتستر وراء حجب وبراقع ، وكأنها الفريسة السهلة تخشى أن تتخطفها الصقور ، أما أن تحصن نفسها بقوة الروح وبالشعور بكرامتها إنسانة مستنيرة واعية فذلك زمن أوشك على الذهاب مع ذهاب رائدات الجيل الماضى .

ألا ما أبعد الفرق بين الليلة و البارحة ، فى بارحتها ألقت المرأة بحجابها فى مياه البحر عند شواطئ الإسكندرية إيذانا بدخولها عصر النور ، وأما فى ليلتها هذه فباختيارها تطلب من شياطين الظلام أن ينسجوا لها حجابا يرد عنها ضوء النهار .

---

(٥١) – الاهرام فى ١٩٨٤/٤/٩ ص١٣ مقال بعنوان : ردة فى عالم المرأه : بقلم د . زكى نجيب محمود

الاختلاط

لا زالت الثقافة الجنسية و الغيرة الجنسية تحكم موقف المحافظين ، الذين لا يرون المرأة إلا حلية أو زينة ومتعة للرجل يجب أن تلف فى اللفائف وتحفظ فى الخزائن لا يسمح لها بأن ترى أحدا إلا زوجها .

وهذا الاتجاه المحافظ يحاول أن يحتكر الإسلام لحسابه فيجعل رأيه هو رأى الإسلام . ففى مجلة " الإخوان المسلمون " الأسبوعية الصادرة فى سبعة ربيع الثانى عام١٣٥٢هـ ذكر حسن البنا أن الإسلام حين شرع للمرأه ألا تختلط بالرجل وألا تسافر مسافة القصر إلا مع محرم ، وأن تقوم بوظيفتها الطبيعية من تنظيم مملكة الأسرة ، لم يقصد بذلك قدحا فى شرفها ، ولا حبسا لحريتها ، وإنما يقصد بذلك إلى صيانتها و حمايتها .

ثم ينتهى إلى المطالبة بأن نحيط حرم العفة المقدسة بسياج من الرقابة اليقظة، ونحول بين ذلك الاختلاط الذى يؤدى إلى أشد النكبات وأفظع المآسى.[٥٢]

ومن خلال أفكار حسن البنا هذه لا نجد من المستغرب أن يكون أكثرتحفظا من شيخ الأزهر .

فقد سئل شيخ الأزهر عما إذا كان موافقا على أن يكون من بين طلبة الأزهر نساء . فابتسم فضيلته وقال :

" إن الدين يجيز ولكن فى الوقت الحاضر لا أوافق "

ويعقب حسن البنا بقوله :

إن الدين يجيز للمرأة أن تطلب العلم ، هذا صحيح ، ولكن لا يجيز لها أن

---

[٥٢] مجلة " الإخوان المسلمون " العدد ١١ السنة الثانية ٧ ربيع الثانى عام ١٣٥٣ هـ من مقال لـ حسن البنا بعنوان " النسا ئيات " ص ١٨

تكون بين طلبة الأزهر ، بل لابد من الفصل بين المتعلمات و المتعلمين فصلا لا يمكن كلا الصنفين من الاتصال بالآخر ، حتى ولا فى حدائق المعاهد وأفنيتها .

ويستطرد فى تساؤل استنكارى إلى القول :

وإذا كنا لا نأمن على المرأة فى دور العلم ، فهل نأمن عليها فى الشارع والسوق والديوان و المسرح والسينما ، ونجيز لها كشف الوجه و اليدين ؟! [٥٣]

وفى مجلة "الإخوان المسلمون " الأسبوعية فى ٢٠/٥/١٩٤٤ ردد حسن البنا هذه الأفكار التى تحرم الاختلاط و الأزياء و الأحفال و التبرج و التمرد على الأزواج و الأولاد و البيوت والخدور " وهذا الانطلاق الشائن إلى ساحات الأعمال التى لم تخلق لها المرأة "

ويرى حسن البنا أن علاج هذه الظواهر إنما يكون فى تربية الفتيان والفتيات تربية إسلامية عفيفة طاهرة .

وهو يرى أن هذه التربية لا تتم إلا بإطفاء كل أنوار الثقافة و التمدن ومؤسسات المجتمع الحديث ، وكل مظاهر الترفيه ، فالعلاج فى نظره يتمثل فى :

" مصادرة هذ الغذاء الوبيل من الصحف و المجلات و الروايات و الكتابات و المسارح والسينمات والإذاعات الهازلة الضئيلة المثيرة التى تستغل فى الناس أخس مشاعرهم وأحط غرائزهم ، ومقاومة هذا التيار من التبرج و الاختلاط ومفارقة البيوت ، والخدور للتسكع فى الحدائق و المصايف و المتنزهات وعلى الشواطئ وفى البلاجات وتحريم هذه الوسائل الخسيسة التى تيسر على الشباب مقاصدهم " [٥٤]

وحسن البنا بدلا من مطالبته بترشيد المؤسسات الثقافية و الترفيهية بحيث

---

[٥٣] مجلة " النذير " العدد ١٩ السنة الثانية فى ٨ جمادى الأولى عام ١٣٥٨ هـ ص ١٦ بعنوان حول حديث فضيلة شيخ الأزهر عن ثياب المرأة فى مجلة روزاليوسف وتعقيب حسن البنا .

[٥٤] " مجلة الإخوان المسلمون " العدد ١١ السنة الثانية ٢٧ جمادى الأولى ١٣٦٣ هـ ٢٠ مايو ١٩٤٤ م ص ٣ ، ٤ بعنوان " من أهداف الدعوة " بقلم حسن البنا .

تفيد فى تثقيف الشباب وترقية المجتمع ، يلجأ إلى المطالبة بتدميرها ومصادرة نشاطها للعودة إلى مجتمع الجهالة والبداوة ، أى تحويل المجتمع الحديث إلى مجتمع ظلامى تنمحى فيه كل أنواع الثقافة و الترفيه الراقى - حيث تسجن المرأة فى البيت - ولا يبقى فيه إلا المتعة الحيوانية .

وفى رسالته إلى المرأة المسلمة هاجم حسن البنا الاختلاط فذكر أن الإسلام يرى فى الاختلاط بين الرجل و المرأة خطرا محققا ، فهو يباعد بينهما إلا بالزواج ، ويحاول أن يلتمس لذلك تعليلا ، فنسب إلى المجتمع الإسلامى صفة بعيدة عنه ، فقال إن المجتمع الإسلامى مجتمع انفرادى لا مجتمع مشترك ، مع أن الحقيقة أن المجتمع الإسلامى يدعو إلى الجماعة و التعاون والتكافل بين أفراده الذين صورهم الحديث الشريف بأنهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له بقية الأعضاء بالسهر و الحمى ، وأفضل الصلاة ما تؤدى جماعة ، والحج اجتماع يشعر المسلمين بقوتهم .

ويستعرض حسن البنا من وجهة نظره مبررات دعاة حرية المرأة واختلاط الجنسين فيذكر أن دعاة الاختلاط يقولون : إن فى تحريمه حرمانا للجنسين من لذة الاجتماع ، وحلاوة الأنس التى يجدها كل منهما فى سكونه للآخر ، و التى توجد شعورا يستتبع كثيرا من الآداب الاجتماعية من الرقة وحسن المعاشرة ولطف الحديث ودماثة الطباع ... الخ

وسيقولون إن هذه المباعدة بين الجنسين ستجعل كلا منهما مشوقا أبدا إلى الآخر ، ولكن الاتصال بينهما يقلل من التفكير فى هذا الشأن ، ويجعله أمرا عاديا فى النفوس . وأحب شئ إلى الإنسان ما منعا - وما ملكته اليد زهدته النفس .

ويرد حسن البنا على تصوراته هذه بأن ما يعقب لذة الاجتماع وحلاوة الأنس مع ضياع الأعراض وخبث الطوايا لا يقف عند حد الرقة ، بل هو يتجاوز ذلك إلى حد الخنوثة و الرخاوة ، وهذه الآثار السيئة التى تترتب على الاختلاط تربو ألف مرة

على ما ينتظر منه من فوائد ، ودرء المفسدة أولى .

ثم تحدث عما يعقب الاختلاط من إبداء الزينة المؤدى إلى الإفلاس و الخراب الاقتصادى .

ثم ذكر أن الإسلام أباح للمرأة شهود العيد وحضور الجماعة و الخروج فى القتال عند الضرورة الماسة (مع أن خروج المرأة للعمل فى مختلف الميادين يعتبرضرورة اجتماعية و حضارية) ولكنه وقف عند هذا الحد واشترط له شروطا عديدة من البعد عن كل مظاهر الزينة ، ومن ستر الجسم ، ومن إحاطة الثياب به فلا تصف ولا تشف ، ومن عدم الخلوة بأجنبى مهما تكن الظروف ، كل ذلك إنما يراد به أن يسلم الرجل من فتنة المرأة وهى أحب الفتن إلى نفسه وأن تسلم المرأة من فتنة الرجل ، وهى أقرب الفتن إلى قلبها .[٥٥]

وأمام زحف المرأة إلى معاهد التعليم و الأماكن العامة هاجم حسن البنا تواجدها .فذكر أن ما نحن عليه ليس من الإسلام فى شئ ، فهذا الاختلاط الفاشى بيننا فى المدارس و المعاهد والمجامع و المحافل العامة ، وهذا الخروج إلى الملاهى والمطاعم و الحدائق ، وهذا التبذل و التبرج الذى وصل إلى حد التهتك و الخلاعة ، كل هذه بضاعة أجنبية لا تمت إلى الإسلام بأدنى صلة .

ثم عاد إلى ذكرتحريم السفور و الخلوة و الاختلاط فقال إن الإسلام يحرم على المرأة أن تكشف عن بدنها و أن تخلو بغيرها وأن تخالط سواها ، ويحبب إليها الصلاة فى بيتها (مع أنه سبق أن أباح لها شهود صلاة العيد والجماعة) و يعتبر النظرة سهما من سهام إبليس ، وينكر عليها أن تحمل قوسا متشبهة فى ذلك بالرجل

---

[٥٥] حسن البنا : المرأة المسلمة ص ١٤ – ١٧ دار الكتب السلفية

(مع أنه سبق أن أباح لها الخروج فى القتال للضرورة)

ثم يعقب على ذلك بالتساؤل الاستنكارى فيقول : أفيقال بعد هذا إن الإسلام لا ينص على حرمة المرأة للأعمال العامة ؟!

ثم يقصر عمل المرأة على البيت فيذكر أن الإسلام يرى للمرأة مهمة طبيعية أساسية هى المنزل و الطفل .

ثم يستطرد مستثنيا : وإذا كان من الضرورات الاجتماعية ما يلجئ المرأة إلى مزاولة عمل آخر غير هذه المهمة الطبيعية لها ، فإن من واجبها حينئذ أن تراعى هذه الشرائط التى وضعها الإسلام لإبعاد فتنة المرأة عن الرجل وفتنة الرجل عن المرأة ، ومن الواجب أن يكون عملها هذا بقدر ضرورتها ، لا أن يكون هذا نظاما عاما من حق كل امرأة أن تعمل على أساسه .[٥٦]

ولكن الواقع وتطور حياة المرأة قد تجاوز نداءات حسن البنا ، ولم يعبأ بصرخات المحافظين فانخرطت الفتاة فى مراحل التعليم المختلفة ، ودخلت الجامعة، واقتحمت كثيرا من مجالات العمل، وأثبتت وجودها ، وكان لهذا التطور بعض الأثر - وإن كان قليلا - على أفكار المحافظين ، فتمسكوا بموقفهم من تحريم الاختلاط ، ولكنهم سمحوا فيه بثغرة إباحة إذا توفرت شروط الحشمة و الوقار ، مع أن هذا شرط ليس محل اختلاف ، فليس هناك من دعاة حرية المرأة وتعليمها وخروجها إلى الأعمال العامة من دعا إلى فجور المرأة وتهتكها أو تحللها من قيم المجتمع وتقاليده ، بل هم أشد حرصا على كرامة المرأة وإنسانيتها و مشاركتها الجادة المنتجة فى تنمية المجتمع ورخائه .

فحسن البنا - فى حديث الثلاثاء- بدأ بإدانة الاختلاط فذكر أن الاختلاط بين الرجل والمرأة حرام ، وما عليه المرأة الآن من غشيان الحفلات ودور السينما والتمثيل

---

[٥٦] حسن البنا : المرأة المسلمة ص ٢٢ - ٢٦ دار الكتب السلفية

وشواطئ البحار ، وما إليها، عارية متهتكة ، فهو أمر لا يعرفه الإسلام ، ولا يرضاه الدين، فمهمة المرأة أن تكون زوجة صالحة وأما صالحة تلتزم بيتها ، وتدير شئون منزلها ، وتصلح من شأن زوجها و أولادها .

ولكنه يعود إلى الاعتراف بأن لهن حقوقا خارج المنزل فيقول:

" أما إذا باشرت المرأة حقوقها فى حشمة و وقار من غير خروج على الحد المشروع فلا مانع من ذلك من غير خلاف " [٥٧]

وفى بيان حسن البنا فى مؤتمر صحفى فى ٢ ذو القعدة عام ١٣٦٧هـ ٥سبتمبر ١٩٤٨ م بمناسبة مرور عشرين عاما على تأسيس أول شعبة للإخوان المسلمين - يصرح بأن الإسلام قد لاحظ أن إباحة اختلاط الجنسين بدون قيود ولا شروط مجلبة لمفاسد كثيرة ، التجربة فيها أعدل شاهد ، فقيد هذا الاختلاط بالقيود التى تدفع الشر و الإفساد من عدم الخلوة وتحريم إظهار الزينة والخضوع بالقول ...الخ

فإذا كانت مزاولة بعض الحقوق ستؤدى إلى هذا الفساد كان من الواجب حرصا على المصلحة إرجاء استخدام هذا الحق ، إلى أن تأتى الفرصة التى لا يؤدى استخدامه فيها إلى هذه النتيجة الضارة " [٥٨]

لقد شاركت المرأة المسلمة الرجل فى الحرب زمن النبى (ص) وكفل لها الإسلام إدارة أموالها وأعطاها حق التصرف وحضرت الصلاة فى المساجد واستمعت إلى نصائح النبى وراجعت عمر بن الخطاب حتى قال : أصابت امرأة وأخطأ عمر .

فهل صحيح بعد ذلك أن الإسلام حرم الاختلاط ، وألزم المرأة عدم الخروج من بيتها ؟

---

[٥٧] حسن البنا : حديث الثلاثاء . قضية المرأة ص ٣٧٠

[٥٨] مجلة " الإخوان المسلمون " اليوميه العدد ٧١٩ السنة الثالثة فى يوم الاحد ٢ ذو القعدة ١٣٦٧هـ ٥ سبتمبر ١٩٤٨م ص ٤

إذا كان الأمر كذلك ، فلم الحجاب؟ وعلى من تتحجب إذا كانت قعيدة البيت لا تخرج منه ولا يراها غير زوجها ومحارمها ؟!

لقد تولى الإجابة على هذا السؤال الشيخ محمد الغزالى حين قال :

كانت النساء فى العصر الأول تصلى التراويح في مساجد خاصة بهن ، حتى جاء أخيرا من يمنعهن أداء الفرائض فى بيوت الله .. وكن يبايعن الإمام على نصرة الإسلام ومكارم الأخلاق ، حتى جاء من يقوم بتجهيلها عمدا فى قضايا الإسلام الكبرى ومكافحة أعدائه المتربصين به .

وقال لى رجل – ممن يرون سجن المرأة– نحن نعلمهن كل شئ ولا يخرجن من بيوتهن !

فقلت له : إننا نعرق فى محاولات مضنية لرفع مستواكم الفكرى ، ولا نكاد ننجح ! فكيف نأمنكم على وظائف التربية و التعليم ؟

ثم هذا الذى نقوله .. أما كان محمد (ص) وأصحابه يعرفونه عندما فتحوا المسجد للمرأة وأذنوا لبعضهن بالمسير مع الجيش ؟!

إن الإسلام لا يؤخذ من أصحاب العقد النفسية ، سواء كانت غيرتهم عن ضعف جنسى أو شبق جنسى .

إن الإسلام يؤخذ من كتاب الله تعالى وسنة رسوله(ص) ، و المجتمع الذى يصنعه الكتاب و السنة يجعل المرأة تلد ذريات مشرفة باهرة الأخلاق ، لادابة تلد حيوانات .[٥٩]

---

[٥٩] محمد الغزالى : هموم داعية ص ١٥٢ – ١٥٣

لم تكن الدعوة المحافظة إلى سجن المرأة وحدها فى الميدان ، بل كان تطور الحياة أقوى من هذه الدعوات ، فعمليات التحديث تشد المرأة إلى التعليم و إلى العمل ، وفتح المجال أمامها فى التوظف أتاح لها الوجود موظفة فى دواوين الحكومة وطالبة و مدرسة فى المدارس و الجامعات وطبيبة فى المستشفيات وعاملة فى المصانع و الورش إلى جانب وجودها الذى لم ينقطع فى المزارع و الحقول .

وألهب حماسها وشجعها على الاختلاط ماقامت به الصحافة من دعوة لظهور المرأة واختلاطها فى المجتمعات البيئية وفى كل المجالات وتزعمت هذه الدعوة مجلة الهلال . [٦٠]

كما اشتركت جريدة " المصرى " فى هذه الحملة فنشرت عدة مقالات للدكتور طه حسين وتوفيق الحكيم وهدى شعراوى وغيرهم تطالب باختلاط الجنسين فى الجامعة .

وها هى الحياة تثبت انتصار هذه الدعوة ، فأصبحت المرأة مشتركة ومتواجدة فى جميع ميادين الحياة ويسر لها المجتمع بعض ما تحتاجه للتوفيق بين إحتياجات البيت والأولاد وبين مهام العمل عن طريق التشريعات القانونية وإقامة مؤسسات الحضانة .. والتطور كفيل باستكمال المزيد من التيسيرات فى هذا المجال .

---

[٦٠] الهلال فى ٢٩ شوال ١٣٥٦ هـ ١٩٣٨/١/١م بعنوان "بعد السفور" بقلم ابراهيم المصرى

تــعــلــيــم الــمــرأة

سوّى الإسلام بين الرجل والمرأة فى التكاليف وفى الثواب والعقاب ، كما سوّى بينهما فى فريضة طلب العلم فقال الرسول (ص) طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ،والله تعالى لا يسوى بين الذين يعلمون والذين لايعلمون " لا يستوى الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون " فالعلم يرفع من قيمة الإنسان لأنه يكرم أهله .

وكان لهذه المبادئ التى أقرها الإسلام أثرها فى الإعلاء من شأن المرأة وإنقاذ كرامتها من المهانة التى تردت فيها بعادات الجاهلية وتقاليدها ، فحرم الوأد وفتح الطريق أمام المرأة لنيل المعرفة ، فتسابقت النساء على حضور دروس الرسول لهن وحققت بعضهن قدرا عاليا من المعرفة ، فقال علية الصلاة و السلام عن السيدة عائشة خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء .

وشهد الصدر الأول من الإسلام دورا متزايدا للمرأة فى مجالات العلم والجهاد

ولكن المسلمين - خاصة فى عصور الظلام - انتكسوا عن دعوة الإسلام فيما يختص بالموقف من المرأة، وعاد كثير منهم إلى عادات الجاهلية ومارسوا الوأد بأسلوب آخر ، فلفوا المرأة فى اللفائف و اعتقلوها فى ظلام سجون الحريم وحرموها ضوء النهار ونور العلم .

لم يأخذ الرجل من الوحى - فيما يتعلق بالمرأة - إلا بما يحلو له وبقدر استعداده ، ففسر الوحى بما يتفق مع أهوائه وميوله على حسب الزمان و المكان .

ومضت عقود وقرون كتم الجهل فيها أنفاس الأمة ، وشمل الرجال و النساء ، وإن كانت النساء أكبر حظا وأشمل نصيبا فى الجهل و الغفلة وسيطرة الخرافة على عقولهن .

وحل القرن التاسع عشر وبدأت روح اليقظة تدب فى أوصال الأمة ، وتسابق الرجال لنيل نصيبهم من نور المعرفة ، ولكن استمر حال المرأة واستمر عصر

الحريم، ثم امتدت شرارة اليقظة لتزيل بعض ظلام السجون ، وتمسح عن المرأة ما أصابها من وخم وران على عقلها من خرافة .

فقد أدرك رواد النهضة أنه لا تقدم لأمة يعيش نصفها غارقا فى ظلمات الجهل ويعوق تقدم النصف الآخر .

وانبرى لكشف هذه الغمة و الدعوة لتعليم المرأة رواد النهضة من أمثال رفاعة رافع الطهطاوى وعلى مبارك ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبى وقاسم أمين .

فالطهطاوى فى كتابه تخليص الإبريز فى تلخيص باريس " يستعرض حياة المرأة الأوربية وما تتمتع به من تعليم ورقى ينعكس على تقدم المجتمع، وهو بذلك يدعو المرأة الشرقية إلى أن تستعيد دورها البناء و الواعى فى حياة المجتمع بالتربية و التعليم .

وعبد الرحمن الكواكبى ينتقد الجوانب السلبية القاتلة فى حياتنا التربوية فى أخريات القرن التاسع عشر ، وذلك فى موقف المجتمع من المرأة وتعليمها ، فيذكر أن التفرقة بين الرجل و المرأة إنما شرعها وجاء بها الاستبداد السياسى .[٦١]

ويثبت الكواكبى فساد ادعاءات التيار الرجعى المحافظ الذى يحاول الربط بين تعليم المرأة وخروجها إلى الحياة الاجتماعية ، وبين شيوع الانحلال والفجور ، فيقول :" إن "لانحلال أخلاقنا سببا مهما آخر يتعلق بالنساء ، وهو تركهن جاهلات على خلاف ما كان عليه أسلافنا " .

ثم يقول : " ربما كانت العالمة أقدر على الفجور من الجاهلة ، ولكن الجاهلة أجسر عليه من العالمة ! "

ويوضح الكواكبى أثر ضرر جهل النساء على الأبناء والأزواج فيذكر أنه إذا

[٦١] عبد الرحمن الكواكبى" طبائع الاستبداد – الاستبداد و المال – نقلا عن الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبى دراسة د . محمد عمارة ص ٨٧

كان ضرر جهل النساء وسوء تأثيره فى أخلاق البنين والبنات أمرا واضحا غنيا عن البيان فإن سوء تأثيره على أخلاق الأزواج فيه بعض خفاء يستلزم البحث ، فأقول إن الرجال ميالون بالطبع إلى زوجاتهم ، و المرأة أقدر مطلقا من الرجل فى ميدان التجاذب للأخلاق ، ولايتوهم عكس ذلك إلا من استحكم فيه تغرير زوجته له ، بأنها ضعيفة مسكينة مسخرة لإرادته ، حال كون حقيقة الأمر أنها قابضة على زمامه تسوقه كيف شاءت ، أو بتعبير آخر يغره أنه أمامها وهى وراءه تتبعه فيظن أنه قائد لها ، و الحقيقة التى يراها كل الناس من حولهما دونه ، أنها إنما تمشى وراءه بصفة سائق لا تابع ؟ ! " [٦٢]

أما الشيخ محمد عبده فقد دعا إلى تعليم المرأة وإنقاذها من حالة الجهل الذى يعم ضرره المجتمع كله.

فعن الجهل وأثره ذكر أن النساء " قد ضرب بينهن وبين العلم بما يجب عليهن فى دينهن أو دنياهن بستار لا يدرى متى يرفع ، ولا يخطر بالبال أن يعلمن عقيدة أو يؤدين فريضة سوى الصوم"

وحين يشيع أعداء حقوق المرأة – للحفاظ عليها جاهلة -أن عفتها وحياءها ،سببها ما هى عليه من جهل ، ينبرى الشيخ محمد عبده لتبديد هذا الزعم فيذكر أن :" ما يحافظن عليه من العفة فإنما هو بحكم العادة وحارس الحياء ، أو قليل جدا من موروث الاعتقاد بالحلال و الحرام "

وهو يوضح أثر الجهل على عقول النساء فيقول :

أصبح " حشو أذهانهن الخرافات وملاك أحاديثهن الترهات ، اللهم إلا قليلا منهن لا يستغرق الدقيقة عدهن" [٦٣]

ولمكافحة هذا الجهل وأثره دعا الشيخ محمد عبده إلى ضرورة تعليم المرأة كل

---

[٦٢] عبد الرحمن الكواكبى أم القرى الاجتماع الثامن نقلا عن الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبى دراسة وتحقيق د. محمد عمارة ص ٨٧ – ٨٨

[٦٣] الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ٣ الرد على هانوتو ص ٢٢٩

ما هو ضرورى لنهضة الأمة ولا يقتصر على تعليمها أمور البيت فقط ، واعتبر هذا حقا لها ، وواجبا عليها ، وواجب على الرجل أن ييسره لها فقال :

إنه " إذا كان الله قد جعل للنساء على الرجال مثل ما لهم عليهن - إلا ما ميزهم به من الرياسة - فالواجب على الرجال بمقتضى كفالة الرياسة أن يعلموهن ما يمكنهن من القيام بما يجب عليهن ، ويجعل لهن فى النفوس احتراما يعين على القيام بحقوقهن ويسهل طريقه ، فإن الإنسان بحكم الطبع يحترم من يراه مؤدبا عالما بما يجب عليه عاملا به ، ولا يسهل عليه أن يمتهنه أو يهينه ...

خاطب الله تعالى النساء بالإيمان و المعرفة و الأعمال الصالحة فى العبادات والمعاملات كما خاطب الرجل ، وجعل لهن عليهم مثل ما جعله لهم عليهن ، وقرن أسماءهن بأسمائهم فى آيات كثيرة ، وبايع النبى (ص) المؤمنات كما بايع المؤمنين ، وأمرهن بتعلم الكتاب و الحكمة كما أمرهم ، فأجمعت الأمة على ما مضى به الكتاب والسنة من أنهن مجزيات على أعمالهن فى الدنيا و الآخرة ، أفيجوز بعد هذا كله أن يحرمن من العلم بما عليهن من الواجبات و الحقوق لربهن ولبعولتهن ولأولادهن ولذى القربى وللأمة و الملة ؟ !

فكيف يمكن للنساء أن يؤدين تلك الواجبات و الحقوق مع الجهل بها إجمالا وتفصيلا ؟!

وكيف تسعد فى الدنيا أو الآخرة أمة نصفها كالبهائم لا يؤدى ما يجب عليه لربه ولا لنفسه ولا لأهله ولا للناس ، و النصف الآخر قريب من ذلك لأنه لا يؤدى إلا قليلا مما يجب عليه من ذلك ويترك الباقى ، ومنه إعانة ذلك النصف الضعيف على القيام بما يجب عليه من علم وعمل،أو إلزامه إياه بما له عليه من السلطة والرياسة؟! "

و الأستاذ الإمام لا يقصر تعليم المرأة على الأمور الدينية فهذا جانب محدود ، بل هو يمتد ببصره إلى العلوم الدنيوية التى لا حدود لها ، فيطالب بإتاحة الفرصة أمام المرأة للأخذ منه بقدر استعدادها واضعا فى الاعتبار مدى المعرفة التى تختلف باختلاف الزمان و المكان فيقول :

إن ما يجب أن تعلمه المرأة من عقائد دينها وآدابه وعباداته محدود ، ولكن ما يطلب منها لنظام بيتها وتربية أولادها ونحو ذلك من أمور الدنيا كأحكام المعاملات يختلف باختلاف الزمان و المكان و الأحوال كما يختلف بحسب ذلك الواجب على الرجال .. فالآية تدل على اعتبار العرف في حقوق كل من الزوجين على الآخر ، والعرف يختلف باختلاف الناس والأزمنة " [٦٤]

وحتى تتحول دعوة الشيخ محمد عبده إلى تعليم المرأة إلى واقع ملموس دعا النساء المتعلمات – خاصة المستنيرات منهن– إلى أن ينهضن بهذا الدور ، فيقمن بتكوين جمعيات نسائية تنشئ المدارس لتعليم البنات ، واعتبر هذا الواجب أفضل لهن وللأمة من الاشتغال بالسياسة أو إنشاء الصالونات لاستقبال علية القوم .

وفى هذا الاتجاه انتقد اشتغال الأميرة نازلى هانم فاضل بأمور السياسة وتمنى أن تهتم بأمور التربية و التعليم فتكون أقدر وأكثر نفعا .

ففى حديث له مع الشيخ رشيد رضا فى عام ١٨٩٧م ذكر أن " هذه الأميرة قادرة على تأسيس عمل يفيد فى تهذيب البنات ، فإن من حولها من الأميرات ينفقن نفقات كبيرة إسرافا وتبذيرا ، ولو أنها حملتهن وأمثالهن من النساء الغنيات على إنشاء مدرسة لتربية البنات وتعليمهن ، واستحضرت لهن معلمات من الأستانة أو سوريا لكان خير عمل تعمله ، وما كان ليخالفنها ، فإذا لم يأت بالفائدة المطلوبة كان غرسا أو بذرا تجنى ثمرته ولو بعد حين " [٦٥]

ولقد كانت لآراء الشيخ محمد عبده أثرها فى دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة ، خاصة فى كتابه الأول "تحرير المرأة " وقد سبق توضيح ذلك

" وقاسم أمين وإن كان فى كتابة ذاك قد وقف فى مطالبته بتعليم المرأة عند

---

[٦٤] الأعمال الكاملة للإمام محمد غبده جـ٤ ص ٦٣١ ، ٦٣٢ نقلا عن د. محمد عماره : الاسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده ص ٢٦ – ٢٧

[٦٥] الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ١ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة ص ٢٥٤ –٢٥٥

التعليم الابتدائى ، غير أنه فى كتابه الثانى " المرأة الجديدة " قد طالب بالمساواة التامة بين الرجل و المرأة فى مراحل التعليم المختلفة ، ولم يقف عند التعليم الابتدائى فقط .

ففى صفحة ١٥٧ طبعة القاهرة عام ١٩١١م يقول قاسم أمين عن التربية :

لا نجد من الصواب أن تنقص تربية المرأة عن تربية الرجل " [٦٦]

ويبدو أن تأثير محمد عبده فى الكتاب الأول ، ووقوفه بتعليم المرأة عند التعليم الابتدائى كان نابعا من موقفه من تعليم أبناء الفئات الشعبية ، حيث كان يرى الاقتصار فى تعليم ابن الحداد ليكون حدادا وابن النجار ليكون نجارا ، ويكتفى بالتعليم الابتدائى ليحقق ذلك وليؤهل هؤلاء ليكونوا عمالا مهرة وأفضل وعيا و قدرة فى خدمه أبناء الأغنياء و الطبقة الحاكمة و القادرة على التعليم العالى ذى التكلفة العالية فى الجامعات الانجليزية وهى نظرة طبقية ، ودعوة لم يكتب لها الانتشار ، ولم يستطع محمد عبده من خلالها أن يحقق هدفه التدريجى فى النهوض بالأمة عن طريق التربية و التعليم مع استبعاد السياسة ، بل كان أثرها محدودا ، ورغم ذلك ففكريا لم يضع محمد عبده حدودا لتعليم المرأة أمور دنياها كما سبق القول.

تلك كانت نداءات الرواد فى نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين دعت إلى حرية المرأة وانتصرت لحقوقها فى التعليم ، واستطاعت المرأة بهذه الدعوات المستنيرة أن تكنس فى طريقها كل العقبات وكل المزاعم التى تعوق انطلاقها .

وحمت ثورة ١٩١٩ واشتراك المرأة فيها انطلاقتها فشقت طريقها فى مراحل التعليم المختلفة وأثبتت وجودها ، وانتشرت مدارس البنات مع مدارس البنين وعمت المدن و القرى مع نداء طه حسين بأن العلم كالماء و الهواء ومع مجانية التعليم التى

---

[٦٦] الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ١ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة ص ٢٦١

عممتها الثورة ، بل وجدت المدارس المختلطة بالقرى و البنادر ، وأصبحت الفتيات ينافسن الفتيان فى مراكز التفوق فى الشهادات العامة .

وشتان ما بين الرواد وبين من جاء بعدهم ، فلم تخمد قوى التخلف و الرجعية ، ولم تكف عن بث سمومها وإشاعة الإحباط و اليأس فى حركة النهضة النسائية تريد أن تشد المرأة مرة أخرى إلى عصر الحريم.

فمع خمود زخم ثورة ١٩١٩ ومع تخلى قادتها عن أهدافها والتفاتهم إلى جمع المغانم السياسية و الاقتصادية ، ومع عجز الحركة الليبرالية عن تحقيق وعودها فى الحرية و الاستقلال و العدل الاجتماعى ، ومع سيادة حلف الاستعمار والإقطاع والرأسمالية على مقدرات الأمة - استيقظت القوى المحافظة المعادية لحقوق المرأة ، رافعة شعارات حماية الفضيلة ومحاربة الانحلال و التبرج و الفساد ، وهى شعارات حق يراد بها باطل فما كان تجهيل النساء وسلبهن آدميتهن وإنسانيتهن وسيلة لحماية الفضيلة ، ولا طريقا لمحاربة الانحلال و الفساد ، إنما الرذيلة و الانحلال فى الجهل وضياع كرامة المرأة وإهدار آدميتها .

لقد أيد رشيد رضا دعوة قاسم أمين وأثنى على كتابيه فى حياة محمد عبده ، وهو تأييد ليس بعيدا عن المواراة ، لأنه سريعا - بعد وفاة محمد عبده- ما عاد إلى موقفه الأصلى المحافظ الذى نشأ عليه فى سوريا قبل لقائه بالشيخ محمد عبده فهاجم دعاة حرية المرأة وقاد فى هذا الاتجاه على صفحات "المنار" دعوة المحافظين ووضع أساسها .

ثم جاء حسن البنا تلميذا متأثرا بفكر رشيد رضا يقف موقفا متراوحا ، فهو لا يستطيع أن يعارض صراحة تعليم المرأة - وإلا وقف مناقضا لتعاليم الإسلام التى جعلته فريضة - وهو فى نفس الوقت لا يطلق لها العنان لجميع أنواع التعليم ومراحله .

فأحيانا يصرح بأنه لا يرى ضرورة لذهاب النساء إلى المدارس متعللا بأسباب وهمية ، وأحيانا يعود إلى القول بأننا لا نشجع حرمان بناتنا من القسط اللازم من التعليم .

فحول حديث شيخ الأزهر لمجلة روزاليوسف عن دخول الفتيات إلى الأزهر والمدارس وحفلات مدارس البنات .

قال شيخ الأزهر : إنى لا أرى ضرورة لذهاب النساء إلى المدارس ، ففى إمكان الأب أن يتولى تعليم ابنته و الأخ تعليم أخته داخل المنزل .

وعقب حسن البنا فى مجلة النذير على هذا بقوله :

أنا مع فضيلة الأستاذ الأكبر فى هذا الرأى ما دامت المدارس هكذا و المناهج هكذا خلوا من بث روح الفضيلة فى نفوس طالباتها ، بل إنها ليست كذلك فحسب بل مادام فيها الرقص التوقيعى ، و التمثيل الذى يظهر الفتيات عاريات أو شبه عاريات ، وحبذا لو كان فضيلة الأستاذ الأكبر قد انتهز الفرصة فأبان حكم الله فى حفلات مدارس البنات التمثيلية و إلزامهن لبس ثياب كاشفة ، وتدريبهن على الرقص و الغناء و اللهو .

ثم انتهز حسن البنا هذه الفرصة ليغلق مدارس البنات فقال :

" ما دامت المدارس هكذا فالبيت خير منها ألف مرة "

ثم عاد إلى القول : ولكنى لا أرى مانعا من أن تتعلم البنت فى المدرسة إلى سن معقولة ما هى فى حاجة إليه فى مهمتها الطبيعية ، ويجب أن نطالب الحكومة بإصلاح مدارس البنات .

ونحن لا نشجع حرمان بناتنا من القسط اللازم من التعليم ، بل نرى ذلك ضروريا للأمة . التى تريد أن تنهض وأن يتكاتف أبناؤها جميعا على خدمتها والرقى بها [٦٧] .

وحين يوافق حسن البنا على تعليم المرأة يحصر هذا التعليم فى شئون المنزل ويحرمها مما عداه لأنه " عبث لا طائل تحته " كما يقول .

[٦٧] النذير العدد ١٩ فى ٨ جمادى الأولى ١٣٥٨ هـ السنة الثانية بعنوان " حول حديث فضيلة شيخ الأزهر عن ثياب المرأة ومركزها فى الحياة العامة " وتعقيب حسن البنا ص ١٦

ففى رسالته إلى المرأة المسلمة يقول :

يرى الإسلام وجوب تهذيب خلق المرأة وتربيتها على الفضائل و الكمالات النفسانية منذ النشأة ...... ومن حسن التأديب أن يعلمهن ما لا غنى لهن عنه من لوازم مهمتهن كالقراءة و الكتابة و الحساب و الدين وتاريخ السلف الصالح رجالا ونساء ،وتدبير المنزل و الشئون الصحية ومبادئ التربية وسياسة الأطفال ، وكل ما تحتاج إليه الأم فى تنظيم بيتها ورعاية أطفالها .

ثم يقول : " أما المغالاة فى غير ذلك من العلوم التى لا حاجة للمرأة بها فعبث لا طائل تحته ، فليست المرأة فى حاجة إليه وخير لها أن تصرف وقتها فى النافع المفيد ."

ثم يفصل القول :" ليست المرأة فى حاجة إلى التبحر فى اللغات المختلفة(أين هذا من قول الرسول (ص) من تعلم لغة قوم أمن مكرهم ، أم أن الرسول (ص) يقصد الرجال فقط ؟ !) وليست فى حاجة إلى الدراسات الفنية الخاصة ، فستعلم عن قريب أن المرأة للمنزل أولا و أخيرا ، وليست المرأة فى حاجة إلى التبحر فى دراسة الحقوق و القوانين، وحسبها أن تعلم من ذلك ما يحتاج اليه عامة الناس "[٦٨]

وفى دراسته عن جماعة الإخوان المسلمين يتحدث د. ميتشيل عن رأى الإخوان فى التنظيم الاجتماعى – بعد أن فرضت المرأة وجودها – بأن فى مقدور المرأة مزاولة اهتماماتها الشرعية خارج المنزل طالما أنها محتشمة فى زيها ، ويجب أن تتضمن تلك الاهتمامات التعليم ، بل ويمكن أن تتضمن العمل المريح ، وأشار إلى أن التعليم – فى رأى الجماعة – ليس محببا فقط بل هو ضرورة للمرأة بنفس قدر ضرورته للرجل .

وهم لا يمانعون من التعليم المشترك ، ولكن فى جو يسوده الفهم الحقيقى

---

[٦٨] حسن البنا : المرأة المسلمة – دار الكتب السلفية ص ١٠ ، ١٢ ، ١٣

للقيم الإسلامية - كما يرونها هم -وإلى أن يتحقق هذا الجو ينبغى تخصيص جامعات أو فصول خاصه للفتيات. [٦٩]

ولتوسيع نشاط الجماعة وتجنيد الكوادر القادرة على نشر دعوتها اهتمت الجماعة فى مجال التعليم بالطلبة و المدرسين ، حيث ترى أن مستقبل الثقافة فى مصر بين أيدى هاتين الطائفتين ، و أن اهتمامها بالتعليم ليس مجرد اهتمام بالمستقبل القومى بل يحمل فى طياته تأكيد الهوية و المصير التاريخى و الثقافى .

وفى سياق اهتمامها بالتعليم حرصت على المطالبة بإدخال التعليم الدينى للمدارس وناهضت مدارس الإرساليات و التعليم العلمانى ، لذلك أبدت الجماعة سخطها على الأزهر لإخفاقه فى مواجهة العلمانية .

ويذكر ميتشيل أن الجماعة بعد موت حسن البنا أخذت تقلل من التأكيد على الجانب الإسلامى للمشكلة فى برامجها الإصلاحية التى ظهرت فيما بعد ، وأعطى مثلا بمشروع الإصلاح عام ١٩٥٢ .

وبعد أن أنشأت الجماعة بالاسماعيلية مدرسة للبنين و مدرسة للبنات ، تزايد عدد هذه المدارس مع نمو الجماعة ليشمل مناطق عدة فى البلاد ، وفى مايو ١٩٤٦ أنشأت الجماعة لجنة لإقامة مدارس ابتدائية وثانوية للبنين و البنات ، ثم أنشأت لجنة للرعاية الثقافية فى الشهر التالى لمساعدة لجنة التعليم وكانت وزارة التعليم تساعد مدارس الجماعة ماليا مع توفير الكتب والمواد اللازمة للدراسة .[٧٠]

وإذا كانت الجماعة قد اهتمت بالتعليم وأعطته جهدا كبيرا من عنايتها ، فقد كان جهدها الأكبر فى هذا المجال متجها إلى تعليم البنين ، أما تعليم البنات فكان ضعيفا لأنها ترى أن مهمة المرأة الوحيدة هى البيت ، وأى جهد بعيد عن احتياجات البيت بالنسبة للمرأة فهو عبث .

---

[٦٩] د. ميتشيل : الإخوان المسلمون جـ٢ ص ١٩٦

[٧٠] د. ميتشيل : الإخوان المسلمون جـ٢ ص ٢٥٠ - ٢٦٠

مع أن التربية الراشدة الناضجة - كما يقول الشيخ محمد الغزالى - هى الضمان الأول لكل نهضة .. و البيت هو المدرسة الأولى لتلك التربية .. وعندما تكون المرأة صفر العقل و القلب لاثقافة فى مدرسة.. ولا عبادة فى مسجد ، فمن أين تحقق التربية المنشودة .

إنه لامجتمع يصلح عندما تكون المرأة حيوانا يحسن تقديم الأكل والمتعة وحسب. إن فقدان التربية السديدة و الأخلاق الصلبة يرجع إلى العوج الهائل فى وسائل التربية، و أول ذلك المرأة المخرفة الغافلة .. و البيت الساذج المحدود .

ثم ضرب الشيخ محمد الغزالى مثلا لتفوق المرأة وقدرتها على خدمة المجتمع براهبة فى الهند تدعى " تريستا " نالت جائزة نوبل العالمية لنجاحها فى رسالتها التبشيرية وخدماتها فى إغاثة المنكوبين ورعاية المرضى وفى فتح المدارس والمستشفيات و الملاجئ .

ثم قال تعليقا على هذا الخبر : إننى أسوق هذا الخبر لنفر من المتكلمين باسم الإسلام يرون المرأة فى الجامع أو الجامعة قذى فى أعينهم ، ويضعون العوائق من عند أنفسهم - لا من عند الله - كيلا يكون للنساء وجود فى ميادين الأمر و النهى و النصح للعامة و الخاصة .

وهم مهرة فى لى أعناق الآيات وقلب الأحاديث النبوية رأسا على عقب وتحريف الكلم عن مواضعه حتى يأخذ الناس دينهم من عقول بها مس . [٧١]

إن هؤلاء الذين فى عقولهم مس ، و الذين يرون المرأة فى الجامعة أو فى

---

[٧١] محمد الغزالى : هموم داعية ص ١٥١ - ١٥٤

المدرسة قذى فى أعينهم هم الذين استطاعوا بدعاياتهم المغلوطة ، وبسبب الأزمات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية أن يشدوا جموعا غفيرة من النساء فى الأعوام الأخيرة إلى ظلام الحريم .

إن للمرأة الحق فى أن تتعلم إلى آخر حد تمكنها مواهبها ، وإذا تعلمت فلها الحق فى أن يكون لها مكان فى دنيا العمل بمقدار ما تعلمت ، وبنوع ما تعلمت لأن التعليم بكل صنوفه ودرجاته ليس للتسلية ، بل هو فى حقيقته تدريب على عمل يؤديه المتعلم .

لقد حصلت المرأة على أكبر قدر مستطاع من التعليم وشاركت فى دنيا العمل فى جميع الميادين ، وأثبتت قدرتها وكفاءتها .

ولم تجد المرأة من يمنعها لا من التعليم ولا من العمل ، لم تجد من يحد من حريتها فى اختيار ميدان نشاطها .

ولكن للأسف أستطاعت الموجة الرجعية العاتية التى أغرقت حياتنا الفكرية اليوم أن تثير الريبة لدى المرأة .

فقد أخذت المرأة ترتاب فى جدوى التعليم بالنسبة إليها – و التعليم المهنى بصفة خاصة – بل اخذت تشك فى مشروعية حقوقها الإنسانية من حيث هى مواطنة ، واختارت أن تكون تابعة خاضعة لسيدها بدلا من أن تكون حرة مسئولة أمام ربها وضميرها .[٧٢]

فشتان بين المرأة فى هذا الجيل و بين المرأة فى الجيل الماضى وبدلا من أن تتقدم إلى الأمام ، تتقهقر إلى الخلف بعيدا بعيدا .

---

[٧٢] الأهرام فى ١٩٨٤/٤/٩ص١٢ مقال بعنوان:ردة فى عالم المرأة !بقلم د.زكى نجيب محمود

عمل المـــرأة

قلنا إن المرأة إذا تعلمت أصبح لها الحق فى أن يتوفر لها مكان فى دنيا العمل بقدر ما تعلمت وبنوع ما تعلمت ، لأن التعليم عبارة عن تدريب على عمل تؤديه المتعلمة .

وأتاح تطور الحياة للمرأة أن تغزو كل المجالات ، وتثبت كفاءتها ، وتهزم كل دعاوى أعدائها.

ولكن هذه الصورة الوردية لم تكن هكذا فى بداية القرن العشرين ، وإنما حدث هذا التطور من خلال نضال شاق ، ومعارضة شرسة تقاتل من أجل إستمرار عصر الحريم ، و الحفاظ على المرأة سجينة فى ظلمات عصور التخلف .

لقد بدأت نداءات تحررها ضعيفة خافتة على لسان رواد قلائل أمام جحافل أغلبية عظمى من أعدائها .

ظهرت قضية المرأة فى البداية فى صورة الحجاب و السفور ثم تطورت إلى تعليم المرأة ودخولها الجامعة و اختلاطها بالشباب ، ثم انتهت فى شكل حقها فى العمل وحقها السياسى فى الانتخاب و الترشيح لنيابة الأمة .

لقد هيأ رفاعة الطهطاوى المناخ لتصور المرأة العاملة بعرضه صورا لحياة المرأة فى الغرب فى ميادين العمل ، من خلال ما كتبه عن مشاهداته فى فرنسا أثناء بعثته فيها واعظا للبعثة التعليمية .

وهذا البذر الذى بذره الطهطاوى وجد استيعابا وتقبلا عند بعض رواد النهضة

فمن الإرهاصات الأولى فى مجال السماح للمرأة الشرقية بالعمل العام ما كتبه عبد الرحمن الكواكبى فى كتابه طبائع الاستبداد ، فقد كان يرى فى عمل المرأة تدعيما لنهضة المجتمع ،معتبرا عملها جزءا أساسيا من مهمة التربية و التعليم

وهو فى قضية العمل بالنسبة للمرأة يفضل المرأة البدوية ثم الحضرية والمدنية

المنبطلة ويرى فى الأخيرة عاملا سلبيا فى الحياة و الحضارة يعوق طموح الإنسان وسعية نحو التقدم فيقول :

إن البشر المقدر مجموعهم بألف و خمسمائة مليون نصفهم كلّ على النصف الآخر ، و يشكل أغلبية هذا النصف نساء المدن ، وقد أصاب من سماهم بالنصف المضر .

ثم قال: أن الضرر يترقى مع الحضارة و المدنية على نسبة الترقى المضاعف، فالبدوية تشارك الرجل مناصفة فى الأعمال و الثمرات ، والحضرية تسلب الرجل اثنين من ثلاث ، والمدنية تسلب ثلاثة من أربعة ، وهكذا تترقى بنات العواصم " [٧٣]

أما قاسم أمين فى كتابه " المرأة الجديدة " فقد ذكر فى صفحة ٢٦ أن اشتغال المرأة بالحياة العامة مما لا يدخل تحت مطالبنا فى هذا الكتاب " ولكنه حين دعا إلى مساواة المرأة بالرجل فى مراحل التعليم المختلفة حيث " لا نجد من الصواب أن تنقص تربية المرأة عن تربية الرجل رتب على ذلك تحبيذ اشتغال المرأة بالحياة العامة وانخراطها فى سلكها حيث طالب فى صفحتى ١٠٥ ، ١٠٦ أن تتقن المرأة على الأقل حرفتين أساسيتين وأن تحترفهما وهما : حرفة صناعة الأطفال ، وحرفة صناعة الطب .. وهو إذا ما أضيف إلى نموذج المرأة الغربية التى ضرب الكتاب الأمثلة بها فى غزوها لمختلف ميادين العلم و العمل ، لأدركنا مدى انحيازه لحق المرأة فى العمل العام. [٧٤]

وتجاوب تطور الحياة مع هذه الدعوات ، ونفخت فيها ثورة ١٩١٩ من روحها،

---

[٧٣]عبد الرحمن الكواكبى.الأعمال الكاملة دراسة وتحقيق د. محمد عمارة ، طبائع الاستبداد- و المال صـ١٦٩

[٧٤] الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ١ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة ص٢٦١ ، ٢٦٢

وزودتها بالوقود الذى حماها من نبال أعدائها ،وغزت المرأة كل مجالات الحياة العامة

ولكن أصوات عصور الظلام لم تتوقف ، بل وقفت متحفزة متربصة بما حصلت عليه المرأة من مكاسب ، تحاول عرقلتها وإيقاف عجلة التطور منتهزة أى انتكاسة أو ضعف يصيب مسيرة التقدم .

فبعد أن تراخت اندفاعات ثورة ١٩١٩ وبعد صعود القوى الرجعية ، ومع الانقلابات ضد الدستور التى قادها القصر فى أواخر العشرينات وفى الثلاثينات بدأت الأصوات تتعالى لتدفن البذور و الثمار التى أطلت بشائرها فى حياة المرأة ، ولتطفئ بصيص النور و الأمل الذى لاح فى مسيرة حياتها .

وبدأ المحافظون يلعبون دورهم فى هذا الاتجاه .

تداعت أصواتهم من رشيد رضا فى المنار إلى الأعضاء المحافظين من الحزب الوطنى فى جمعية الشبان المسلمين ومجلتهم ، إلى حسن البنا ومجلة " الإخوان المسلمون " " و النذير" إلى جماعة شباب "محمد " ومجلتهم " النذير" فى مرحلتها الثانية .... الخ

ولنستعرض بعض ما سطره الشيخ حسن البنا المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين ، وبعض ما كتب فى وسائل إعلامهم .

ففى حديث الثلاثاء يقف حسن البنا ضد عمل المرأة ويصف أنصارها بالوحوش ، فيذكر أن هذه النداءات مغرضة صادرة من وحوش ، هم أعداء المرأة فى الحقيقة ، لأنها أصوات تدعو المرأة للعمل و احتمال تبعات الحياة فى الخارج ، فتفقد بذلك الحياء و الخجل ، وهما رأس مالها ، وتتعرض عفتها وكرامتها للانهيار ، فالرجل الذى يدعو لذلك عدو للمرأة حليف للشيطان ، و المرأة التى تصدق ذلك وتعمل له لهى عدوة لنفسها ، منساقة وراء الشهوات ، فكرامة المرأة فى صيانتها وعزتها فى خدرها ، ومكانها اللائق بها هو البيت ومهمتها الحقيقية هى تربية الأبناء

وتنظيم البيت " وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى" [٧٥]

وفى حديث الثلاثاء أيضا يهاجم خروج المرأة للعمل فى انجلترا ، ويحذر من سريان هذه العدوى إلينا ، فيذكر أن الطامة الكبرى أن السيدات هجرن بيوتهن إلى العمل مع الرجل ، ومن الأسف أن هذه العادة ستجتاحنا ، وسيسرى إلينا عدواها ، ولو أبيح ذلك لا نهدم أساس الأسرة وانهدمت معه العاطفة الإسلامية .[٧٦]

وبينما حسن البنا ينعى على الغرب هجرة النساء من البيوت إلى العمل مع الرجل ، إذ بصلاح شادى يتهم الغرب بالعجز عن حل مشكلة المرأة ، فلم يضعها فى موضعها ، فتارة يقدمها وتارة يؤخرها ، واستحى الشرق من أن ينصفها !

ثم ذكر أن المرأة الغربية اليوم يقدمها الرجل فى الحفلات ويجعلها تسبقة فى المناسبات استمتاعا بفتنتها لا رعاية لحقها ، بدليل أنه إلى وقت قريب لم تكن المرأة فى فرنسا تملك حق التصرف فى مالها ، وكانت تعتبر متاعا مملوكا للرجل . [٧٧]

وفى حديث الجمعة صور حسن البنا حياة المرأة الغربية تصويرا لا يخلو من ظلم وإسفاف وتجاهل لما فى حياتها من جدية وانضباط ومساهمة نشيطة فى بناء مجتمعها ، ولم ير حياتها إلا نوعا من التحلل والفجور .

ولو كان هذا التصوير صحيحا ، لما تمكنت أوربا من تحقيق تقدمها المذهل ولما أنجزت الوفرة فى الإنتاج .

فقد هاجم أوربا واتهمها بأنها بدلت نعمة الله كفرا ، فأحلت التنافر والتخاصم محل التكافل والتعاون .

---

[٧٥] مجلة الإخوان المسلمين " العدد ١٠٤ السنة الرابعة فى غرة رجب سنة ١٣٦٥ هـ أول يونية سنه ١٩٤٦م ص١٦بعنوان " حديث الثلاثاء الاسلام والبيت " لحسن البنا تلخيص على الشريف .

[٧٦] – حسن البنا : حديث الثلاثاء صـ ٤٥٨

[٧٧] – صلاح شادى : صفحات من التاريخ – حصادالعمر ص ٤٢

ثم انتقل إلى حياة الأسرة الأوربية فقال : فى البيوت اتهمت المرأة أنها إن عاشت فى كنف الرجل وفى وفاق معه فقد فقدت شخصيتها ، فثارت المرأة على هذا الذى لا يمكن عقلا ولا عملا أن تسعد بغيره ، والتمست سعادتها فى المعامل والمصانع والملاهى والمفاتن ، وتمثلت الرجل عدوا يغتصب حقوقها ، فتمردت عليه حليلا يرعى حقها ، ولكنها لم تستغن عنه ، فأسلمت نفسها إليه خليلا يعبث بها وتعبث به .[٧٨]

وقد استخلص حسن البنا من قوله تعالى " ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا " [النساء ١٢٤] أن التسوية بين الرجل والمرأة فى الأحكام العامة ، وأن القيمة العامة فى المحاسبة وفى التكليف قيمة واحدة .[٧٩]

ورغم ذلك ففى " رسالة المرأة المسلمة " ذكر حسن البنا أن الإسلام ينكر على المرأة أن تحمل قوسا متشبهة فى ذلك بالرجل ، كما يحرم على المرأة الأعمال العامة، ويقصر مهمتها على المنزل والطفل ، وإذا اضطرت المرأة إلى مزاولة عمل آخر غير هذه المهمة فمن واجبها أن تراعى شروط إبعاد الفتنة ، وأن يكون عملها بقدر ضرورتها ، وليس نظاما عاما لكل امرأة . [٨٠]

ويرد حسن البنا على أنصار المرأة الذين يربطون بين نهضة الأمة وبين تحرير المرأة بالتشكيك فى هذه العلاقة ، أو بعدم حتمية الترابط ، ويعطى مثلا على ذلك باليابان التى حققت نهضة عظيمة جعلتها أرقى أمم الشرق مع تدنى وضع المرأة

---

[٧٨] –جريدة "الإخوان المسلمون اليومية العدد ٦٦ السنة الأولى ٢٠ شعبان سنة ١٣٦٥هـ ١٩ يولية سنة ١٩٤٦م بعنوان "حديث الجمعة : إنسانية واحدة قوامها التعارف والتكامل ص ١ ، ٤

[٧٩] – حسن البنا : حديث الثلاثاء ص٢٩

[٨٠] – حسن البنا رسالة المرأة المسلمة ص ٢٥ ، ٢٦ طبعة دار الكتب السلفية

فى اليابان كما يقول - نقلا عما نشرته جريدة الجهاد - حيث لا تنال إلا أُضعف الأجور ، وتقوم بالأعمال الشاقة بل وتباع أحيانا فى سوق الرقيق [كما يزعم]

ثم يتراجع قليلا ليقرر أن رقى المرأة يفيد نهضة الأمة كثيرا ، ولكنه ليس كل شئ فى النهضة وليست أُهميته فيها كأهمية إصلاح الأخلاق وتربية النفوس ، فليس معناه الإباحة والخلاعة والتهتك .[٨١]

والحقيقة أننا لا نفهم ، لماذا يضع رقى المرأة نقيضا للأُخلاق الفاضلة ، ولم يقل بذلك أحد . ألا يمكن أن يتواكب الاثنان ؟ بل إن الرقى يستلزم أيضا رقيا فى الأخلاق وتربية النفوس تربية فاضلة .

وحين حصلت الآنسة نعيمة الأيوبى على ليسانس الحقوق وتقدمت لنقابة المحامين لتحصل منها على تصريح لها بالاشتغال بالمحاماة توقفت النقابة عن التصريح لها بالاشتغال بالمحاماة .

وخاضت الصحف فى هذا الموضوع بين مؤيد ومعارض ، وكان أكثرها يحتج على النقابة لعدم إسراعها بالموافقة على طلب الآنسة .

وحين حصلت الآنسة فاطمة فهمى على البكالوريا وتقدمت إلى مدرسة الهندسة الملكية للالتحاق بها توقفت المدرسة فى قبولها ، وكتبت بعض الصحف موجهة اللوم الشديد لمدرسة الهندسة .

وكتبت الكاتبة زينب الحكيم فى أهرام ٢ ربيع الثانى ١٣٥٢هـ تحت عنوان : وظيفة المرأة فى الإنسانية على بساط البحث والتمحيص " وصدرتها بكلمة أفلاطون القائلة : " ليس من عمل ما فى تنظيم الهيئة الاجتماعية تختص به المرأة كامرأة أو يختص به الرجل كرجل لأن الطبيعة ساوت بين الرجل والمرأة فيما منحا من النعم

---

[٨١] - مجلة الإخوان المسلمون العدد ١٠ السنة الأولى ٢٥ ربيع الثانى سنة ١٣٥٢هـ ص٢٤ ، ٢٥

والمواهب ، ولذلك يحق للمرأة أن تقوم بكل عمل يقوم به الرجل رغم كونها أضعف جسما منه "

وقد عقب حسن البنا على هذين الحدثين بأن للمرأة وظيفة فى الحياة وهى المنزل ، وليس من النافع أن تشارك الرجال فيما يقومون به من الأعمال ، فللرجل الكسب والكد ، وتدبير الحياة الخارجية ، وللمرأة المملكة المنزلية وتدبير حياة الأسرة، وليس فى ذلك انتقاص لأحدهما ، وإنما هى القسمة العادلة فيما بينهما ، وهو يرى أن هذه هى سنن الكون ونظمه ، وناشد المتجادلين أن يتركوا المرأة سيدة فى بيتها آمنة فى سربها ، هانئة بأولادها سعيدة بزوجها ، قائمة بالوظيفة التى أعدت لها ، ولا تزعجوها بالأمانى والأحلام والظنون والأوهام ، واذكروا أيها القوم أن المحاكم قد شرقت بالمترافعين والبيوت قد أقفرت من المتزوجين ، فخير للآنسة نعيمة الأيوبى أن تخدم أمتها بأن تعمر بيتا على أساس الفضيلة والعلم ، وتكون أسرة تبث فى نفوس أبنائها وبناتها الخلق الفاضل على ضوء ما تعلمته من الحقائق من أن تنافس المحامين الذين يطالبهم أبناؤهم وزوجاتهم بالنفقة .

وقل مثل ذلك للآنسة فاطمة فهمى ولكل آنسة تحاول أن تتخذ التعليم العالى سلما للكسب والمعاش .

ثم قل لأفلاطون وللكاتبة زينب الحكيم " حتى لو سلمنا بهذه النظرية ، نظرية أن المرأة تستطيع أن تقوم بأعمال الرجل فلن نستطيع فى مصر أن نسلم بعكسها وهى أن الرجل يستطيع أن يقوم بأعمال المرأة ، ونحن مضطرون لتقسيم وظائف الحياة فيما بينهما ولابد أن يختص كل منهما بعمل ، ومن هنا يجىء وجوب قيام كل منهما بوظيفة خاصة به " .

ولازلنا نؤيد نقابة المحامين ونؤيد مدرسة الهندسة فى وجوب رفض طلبى

الآنستين ونشكر لوزارة المعارف مواقفها المشرفة فى المحافظة على المصلحة العامة.[٨٢]

وحين طالب عميد كلية التجارة [حمدى بك] عام ١٣٥٨هـ من الدولة تعيين أربع طالبات تخرجن من كليته فى نفس العام فى وظائف الدولة ، وكتب إلى معالى وزير العدل يقترح فيه إلحاق هؤلاء الطالبات بالمجالس الحسبية كخبيرات محاسبات ، ماذا كان رد الفعل ؟

استنكرت مجلة " النذير " هذا الطلب ، وشككت فى قدرة المتخرجات على التفاهم وأنهن أسهل للانقياد للعاطفة واختفاء العقل ، وسيتعرضن للمناقشة مع الرجال الأوصياء وأن تعيينهن سيحجب زملاءهن من الطلبة المتخرجين مما يزيد من عدد المتعطلين .

ثم نصحت النذير عميد كلية التجارة بأن الأولى بحمدى بك أن يزكى ثقافتهن كزوجات صالحات لا كخبيرات محاسبات ، وأن المنزل والأسرة هما المكان الطبيعى للمرأة مهما بلغت من العلم والثقافة .

ثم تدنت " النذير " إلى مستوى الإسفاف والقذف حين قالت : " إن كل واحدة من هؤلاء المتخرجات إذا لم تعثر على " الجليل " فهى فى وظيفتها لن تعدم " الخليل " وسلام يومها على الثقافة والكفاءة والأخلاق ! [٨٣]

و حين عينت بنت الشاطئ " عائشة عبدالرحمن "فى أحد مناصب وزارة الشئون الاجتماعية هاجمتها مجلة " النذير " و أرجعت هذا التعيين لتدخل طه حسين

---

[٨٢] – مجلة " الإخوان المسلمون " العدد ٨ السنة الأولى ١١ ربيع الثانى سنه ١٣٥٢هـ بعنوان النسائيات : " وظيفة المرأة فى الحياة لحسن البنا ص ١٩، ٢٠ .

[٨٣] – النذير العدد ٢٠ السنة الثانية فى ١٥ جمادى الأولى ١٣٥٨هـ ص٢٣

و أنه يواصل موقف المناهض للشريعة الإسلامية و قالت إن المرأة لا تصلح لأى عمل[٨٤]

وقد خصصت صحف الإخوان بابا ثابتا بعنوان : " البيت المسلم " ركزت فيه على حقوق المرأة فى الإسلام - كما تراها الجماعة - وكيف أن الإسلام حفظ هذه الحقوق و أن التيار الجديد الذى يحاول أتباعه مساواة المرأة بمثيلتها فى أوربا سيرجع المرأة إلى عصر الجاهلية . [٨٥]

وحين عرض على مجلس النواب المصرى فى النصف الأول من عام ١٩٤٤ م موضوع اشتغال المرأة بالمحاماة ، وانتهى المجلس إلى الموافقة على أن للمرأة أن تحترف مهنة المحاماة إن شاءت ، ندّد حسن البنا بهذا القرار فقال :

فما نظن أن شيئا جنى على الناس قديما أو سيجنى عليهم حديثا إلا سوء فهمهم للأوضاع وتحكيم الهوى ومخالفة التكوين الطبعى الذى لا يمكن أن يتخلف "

ثم هاجم أنصار المرأة و اتهمهم بالدجل والخداع فقال :

أريد أن أقول لأنصار قضية المرأة إنكم دجالون مخادعون تلعبون بالألفاظ وتعبثون بزخرف القول ، وتخلقون خصومة فى غير موضع وتجولون فى غير ميدان

أرادوا للمرأة أن تشتغل بالمحاماة ، وأباحوا لها هذا الحق ، وهم بالأمس القريب فكروا فى التشدد فى شروط قبول الشباب فى جدول المحامين ، حتى بالغ بعضهم وقال بإقفاله لكثرة عدد المشتغلين بالمهنة حتى صار كثير منهم لايجد عملا . [٨٦]

---

[٨٤] - النذير ٢٨ جمادى الثانية سنة ١٣٥٨هـ يوليو ١٩٣٩م نقلا عن د . زكريا بيومى : الإخوان المسلمون ص٢٩٧

[٨٥] - النذير ٢٧ رجب ١٣٥٨ ، ٢٧ ربيع الأول ١٣٥٩ [١/٥/١٩٤٠] وأعداد كثيرة تالية - نقلا عن د. زكريا بيومى الإخوان المسلمون ص٢٩٧

[٨٦] مجلة " الإخوان المسلمون " العدد ١٢ السنة الثانية ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣ هـ ٣يونية سنة ١٩٤٤ م بعنوان : أهداف الدعوة : الأُسرة المسلمة أيضا بقلم حسن البناء ٣ ، ٤

وهاجم حسن البنا الدعوة إلى منح المرأة حق الانتخاب والترشيح فذكر أن مايريده دعاة التفرنج وأصحاب الهوى من حقوق الانتخاب والاشتغال بالمحاماة مردود عليهم بأن الرجال - وهم أكمل عقلا من النساء - لم يحسنوا أداء هذا الحق فكيف بالنساء وهن ناقصات عقل ودين . [٨٧]

ولقد كان شيخ الأزهر [الشيخ مصطفى المراغى على ما أظن] أكثر مرونة وتفتحا من حسن البنا الذى أصر على موقف التشدد والتزمت .

فقد صرح شيخ الأزهرلجلة روزاليوسف بأن الدين أباح للمرأة أن تبيع وأن تشترى وأباح لها الشهادة أمام القاضى ونظارة الوقف والوصاية ، وعلى وجه التقريب منحت المرأة كل ما يجوز للرجل إذا استثنينا مركز القضاء الجنائى وخلافة الإسلام فيصح للمرأة أن تكون وزيرة وأن تكون عضوا فى البرلمان " .

ووقف الشيخ حسن البنا من هذه القضايا موقفا مضادا أو قريبا من ذلك .

ففى تعقيبه على حديث شيخ الأزهر قال :

يجب ألا يفهم هذا الكلام على إطلاقه ففيه تفصيل كثير ، فإن إباحة البيع والشراء للمرأة إنما يراد به الاعتراف لها بحق الملكية ، لا أن تحترف التجارة ، ولسنا نعرف من نساء السلف امرأة واحدة احترفت التجارة ، بل إن ذوات المال فى الجاهلية كن يستأجرن الرجال يعملون فى أموالهم ولا يزاولن ذلك بأنفسهن كما فعلت خديجة رضى الله عنها[أليس إدارتها لأعمال تجارتها شكلا من أشكال التجارة ؟!]

وإباحة التجارة والاحتراف مطلقا للمرأة يتنافى مع فرض النفقة على الزوج لزوجته وعلى الأب لابنته وهكذا ، ولا نريد أن نعرض لمفاسد هذه الإباحة الاقتصادية وهى كثيرة .

---

[٨٧] - حسن البنا : حديث الثلاثاء ص ٣٧٠

وإباحة الشهادة أمام القاضى ليس على إطلاقه كذلك بل إن المرأة لا تكون شاهدة بنفسها بل لابد أن تعززها فى الشهادة امرأة أخرى .

أما نظارة الوقف والوصاية ونحوهما فأمور شخصية بحتة لا تستلزم من المرأة خروجا عن مهمتها الأساسية ولا هجرا لبيتها ، ولا تضييعا لأولادها .

وإباحة الوزارة للمرأة مع استثناء القضاء الجنائى - والوزارة أجل منه شأنا وأعظم تبعة - أمر غريب .

وأما إباحة عضوية البرلمان مطلقا فهو يتنافى مع خطر الخلوة والاختلاط بالأجانب على النساء ، ويتنافى كذلك مع تحريم النظر ، ويؤدى إلى كثير من المفاسد، ومن قواعد الدين سد ذرائع الفساد ، وهذا من أكبرها ولا شك .

المرأة لاتكون وزيرة ولا عضوا فى البرلمان بحال ، فإن من مقتضى إسناد هذه الأعمال إليها الخلوة مع غير ذى المحرم ، بل ربما اقتضى ذلك الخلوة مع غير مسلم .[٨٨]

وفى مايو سنة ١٩٤٤عرض على مجلس النواب المصرى اقتراح من النائب زهير صبرى بإباحة حق الانتخاب للمرأة فرفض المجلس بما يشبه الإجماع .

ويعلق حسن البنا على هذه المحاولة بسؤال استنكارى بقوله :

هل يشعر هؤلاء المحاولون فى قرارة أنفسهم أن الكثير من الرجال الذين منحوا هذا الحق يحسنون استخدامه ؟

ثم طالب بتقديم الأهم على التافه ورد على المطالبين للمرأة بالعمل والمكتب والانتخاب بأن المكان الأول للمرأة هو البيت . [٨٩]

---

[٨٨] - النذير العدد ١٩ السنة الثانية فى ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ " حول حديث فضيلة شيخ الأزهر عن ثياب المرأة ومركزها فى الحياة العامة " وتعقيب حسن البنا ص١٤ ، ١٥

[٨٩] - مجلة " الإخوان المسلمون " العدد ١٢ السنة الثانية ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣ هـ ٣ يونية سنة١٩٤٤ م ص٤

وتتصيد مجلة " الإخوان المسلمون " أى تصريح أو تلميح لا يتحمس لسرعة منح المرأة حقوقها السياسية .

فتنشر هذه المجلة فى ١٧ يونية ١٩٤٤م – فى داخل برواز وسط مقال للأستاذ حسن البنا عن الأسرة المسلمة فى نفس العدد – تصريحا للدكتورة درية شفيق عن حقوق النساء فى مصر ، إذ قالت – حسب قول المجلة – " إذا كان المقصود بالحقوق السياسية هو منح المرأة المصرية حقها فى الانتخاب والتمثيل النيابى فاعتقادى أن هذا سابق لأوانه .

فهى لا تعارض المبدأ ولكن تتحين الوقت المناسب .

ثم تعلل ذلك ، بأن العبرة ليست بالأقلية التى تطورت ذلك التطور السريع ، بل العبرة فى كل هذه الحقوق بالسواد الأعظم من نساء الأمة ، حقيقة إن النساء أكثر من نصف مجموع الأمة لكن الجهل والجوع والفقر متغلغل فى الأغلبية الساحقة منهن ، وإنى لأعجب ممن ينادين بحقوق النساء البرلمانية ، وكان الأولى أن يعالجن الداء ثم يعطين الدواء .

وتعقب المجلة على هذا التصريح بأنه ليس لنا من تعليق ورد على رئيسة الحزب النسائى وأنصارها بعد أن شهدت شاهدة من أهلها وبنات جنسها .

وفى نفس البرواز نشرت المجلة أن الدكتورة سهير القلماوى سئلت : إلى أى مدى تطلبين مشاركة المرأة للرجل فى الوظائف والأعمال الحرة ! " فقالت :

"لاشك فى أن المرأة يقع على عاتقها أهم واجب مقدس ألا وهو رعاية شئون الأسرة وتربية الأطفال ،ويجب على المرأة أن تقوم بما يناسبها كالطب وبعض مراحل التدريس مع مراعاة التوفيق بين عمل المرأة بالمنزل وعملها خارجه ،وبدون تضحية مصلحة على حساب الأخرى،وإلا وجب اعتزال الوظيفة والتفرغ لواجبات المنزل "

وتعلق المجلة بأنها تقر رأى الدكتورة وترضاه – ولكنها تعود لنقض ما وافقت عليه وأقرته بهذا الاستدراك والسؤال الإنكارى بقولها : " ولكن أيتسع الوقت للمرأة فتهتم بتدبير شئون بيتها و رعاية مصالح زوجها و تربية الأطفال والعمل خارج المنزل ؟! [٩٠]

وبعد مرور حوالى تسع سنوات على حديث شيخ الأزهر السابق ومع شيخ آخر للأزهر [أظنة الشيخ محمد مأمون الشناوى] بدا أيضا أكثر جرأة من حسن البنا وأكثر استجابة لحقوق المرأة وتطور العصر ، فقد صرح شيخ الأزهر لمندوب جريدة أخبار اليوم بأن الدين لا يمنع المرأة من حقها فى النيابة .

وحاول الاتحاد العام للهيئات الإسلامية أن يستوضح فضيلة الأستاذ الأكبر بخصوص هذا التصريح فتوجه اللواء سليمان عبدالواحد أمينه العام إلى الإدارة العامة بالأزهر وقابل شيخ الأزهر ودار بينهما الحديث التالى :

س : هل تقرون ما نشر بجريدة أخبار اليوم منسوبا إليكم يوم السبت الماضى ١٤ أغسطس ١٩٤٨ بشأن الحقوق النيابية للمرأة ؟

جـ: نعم ولكنه مختزل ، والأصل قولى إن الدين لا يمنع المرأة من التعبير عن رأيها فى المسائل العامة بشرط أن لا يترتب على ذلك فساد أو اختلاط .

فقلت له الفساد واقع والواجب إبعاده .

س : ألا ترون التنبيه إلى استكمال هذا النقص بنشره .

جـ : أنا لا أكذب ولا أصحح .

س:لوفرضنا أن النساء حزن أغلبية النيابة عن الأمة فهل يقرالإسلام ولايتهن

---

[٩٠] – مجلة " الإخوان المسلمون " العدد ١٣ السنة الثانية ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣ هـ١٧ يونية سنة ١٩٤٤ م ص٤ .

جـ : مثل هذا البرلمان لم يكن قائما فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذه مسائل خلافية ، وإن نظام الإسلام ليس كما هو الآن ، والدين لا يحرم المرأة المسلمة من حق إبداء رأيها ، وقد حدث ذلك فى عصر الرسول . [٩١]

وهناك فى قضية المرأة والتشدد حيال حقوقها من زايد على حسن البنا واعتبر منح المرأة حق الانتخاب ثورة على الإسلام وعلى الإنسانية .

فقد نشرت مجلة " الإخوان المسلمون " فى ٥ يوليو ١٩٤٧ مقالا أكثر تشددا وتطرفا لنائب آل العزايم بالمحلة الكبرى ابراهيم الخطيب حيث قال :

" يعتبر منح المرأة حق الانتخاب [متعلمة أو غير متعلمة] ثورة على الإسلام وثورة على الإنسانية وكذلك يعتبر انتخاب المرأة ثورة على الإنسانية بنوعيها لمناقضته لما يجب أن تكون عليه المرأة بحسب تكوينها ومرتبتها فى الوجود ، فانتخاب المرأة سبة فى النساء ونقص ترمى به الأنوثة .

وتعليل ذلك لديه أن المرأة فى نظره لم تخلق إلا لتكون زينة وحلية ومتعة للرجل وبتعبيره: " إذ المرأةلم تخلق إلا لتكون جنة الحس وروضة الأنس للرجل لأنها المخلوق الناعم والجنس اللطيف يسكن إليها الرجل بعد فادح جهاد الحياة واحتمال مشقة الأعمال،فتتجدد آماله ويعود إليه نشاطه ، فإذا خرجت المرأة عن هذا الوضع الإلهى فتكون بذلك قد ضربت بسهم أصابت به مقتل الأنوثة وأنكرت نعومتها الغريزية ولطافتها الجنسية ، وأيضا يعتبر انتخاب المرأة وصمة ونقصا فى الرجال .

لهذا كان لزاما على من بيدهم مقاليد الأمور فى مصر قتل هذه الفكرة الخبيثة فى مهدها قبل أن يستفحل الداء ويستعصى الدواء ، وعلى الأمة المصرية الكريمة أن تقاطع هذه الآراء الفاسدة التى ما أريد بها إلا محو حضارتنا وأخلاقنا تعلقا

---

[٩١] – جريدة " الإخوان المسلمون "اليومية العدد ٧٠٤ السنة الثالثة ١٣ شوال سنه ١٣٦٧ هـ ـ ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٨ م ص٣ بعنوان " بين الأستاذ الأكبر ووفد اتحاد الهيئات الإسلامية

بحضارة الغرب وآدابه ليحل الاستعمار الأخلاقى محل الاستعمار السياسى . [٩٢]

وليس هناك ما هو أبلغ من هذا فى أن المرأة عند هذا التيار الرجعى المحافظ ليست - بتعبيره - إلا حلية و متعة يجب أن تلف فى اللفائف وتحفظ بعيدا عن عيون الذئاب الجائعة حتى يتمتع بها زوجها - الذئب أيضا . أما إنسانية المرأة وآدميتها فليست هنا !!

وبهذه الثقافة الجنسية والشبق الجنسى يتحصن الرجعيون مرتدين مسوح الفضيلة والأخلاق؟ !!

ورغم هذه المعارضة التى شنتها جماعة الإخوان المسلمين على دعاة حرية المرأة ، ووقفت ضد خروجها من البيت إلى العمل العام خاصة العمل السياسى ، فقد قامت الجماعة بتكوين تنظيم نسائى باسم الأخوات المسلمات ، وليس نشاط هذا القسم قاصرا على النواحى الاجتماعية فقط ، بل له نشاط سياسى ، مما يتعارض مع رفضها لقيام المرأة بالعمل العام، فهى هنا لم تتقيد بما دعت إليه ،لأن مايشغلها هو التوغل داخل الأسر و المجتمع لتجنيد أكبر عدد ممكن من الأنصار والأتباع .

فقد تكونت سنة ١٩٣٢ أول شعبة للأخوات المسلمات بمدينة الإسماعيلية تحت عنوان فرق الأخوات المسلمات ، ونشرت لائحتها الداخلية بالسنة الأولى من مجلة " الإخوان المسلمون " ، وتكونت لجنة أخرى بهذا الاسم فى القاهرة برئاسة الحاجة لبيبة أحمد ، ثم فتر نشاط هذه الفرق.

وفى سنة ١٩٤٤ وافق مكتب الإرشاد على تنظيمها من جديد ، وتكونت أول لجنة تنفيذية بتاريخ ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٦٣هـ الموافق ١٤ إبريل سنه ١٩٤٤

---

[٩٢] - مجلة " الإخوان المسلمون " العدد ١٥٩ السنة الخامسة ١٦ شعبان سنه ١٣٦٦ هـ ٥ يوليو سنة ١٩٤٧م بعنوان " منح المرأة حق الانتخاب بقلم ابراهيم الخطيب نائب آل العزايم بالمحلة الكبرى ص ١٦

واتخذت لها مقرا بالمنزل رقم ١٧ شارع سنجر الخازن بالحلمية الجديدة بالقاهرة .

ثم أعيد تنظيم قسم الأخوات المسلمات واعتمد المركز العام اللائحة المعدلة بتاريخ ١٣ شعبان ١٣٦٧هـ الموافق ٢٠ يونية ١٩٤٨م وبمقتضى هذه اللائحة تألفت الهيئة التأسيسية للأخوات المسلمات من الأخوات العاملات بالقاهرة والأقاليم حتى سنه ١٩٤٨ وعددهن خمسون أختا ، ويسند الإشراف على هذا القسم للمرشد العام للإخوان المسلمين رأسا ، ولفضيلته أن ينتدب من الإخوان العاملين سكرتير اتصال لتنظيم الأعمال الإدارية بالقسم ، ويعاونه في الإشراف والإدارة لجنة تتألف من اثنتى عشرة أختا من أخوات الهيئة التأسيسية تسمى لجنة الإرشاد العامة للأخوات المسلمات تنتخبها الهيئة التأسيسية بالاقتراع السرى وتختار من بينهن رئيسة لهن ووكيلة وسكرتيرة وأمينة للصندوق ، وتتصل هذه الهيئة بالمركز العام عن طريق السكرتير الذى انتدبه المرشد العام ، وتتصل بالأخوات عن طريق الشعب . [٩٣]

وكانت أول رسالة ثقافية قام قسم الأخوات بطبعها ونشرها هى " رسالة مع المرأة المسلمة" فى اكتوبر سنة ١٩٤٧م وفيها برنامج صريح يتضح منه - تحت ضغط تطور حركة المرأة وغزوها جميع ميادين الحياة - اعتراف الإخوان بالحقوق التالية للمرأة :

١- المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة فى الحقوق الإنسانية .

٢- السماح للمرأة بالخروج إلى المجتمع الخارجي مكشوفة الوجه واليدين .

٣- السماح للمرأة بالمساهمة فى النشاط الاجتماعى إذا كان العمل خيريا والوسط كله نسائيا .[٩٤]

---

[٩٣] - مجلة " الإخوان المسلمون " العدد ٢٠٥ السنة السادسة ١٩ شعبان سنة ١٣٦٧هـ ٢٦ يونيو ١٩٤٨ بعنوان تعريف ولائحة قسم الأخوات المسلمات ص ١٧ ، ١٨

[٩٤] - محمد شوقى زكى : الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى ص١٩٥ ، ١٩٨

ورغم المواقف السابقة لجماعة الإخوان المسلمين ضد حقوق المرأة فقد زايدت بعض الجماعات الإسلامية الأكثر تطرفا - خاصة جماعة شباب محمد - على جماعة الإخوان المسلمين ، فهاجمتها واتهمتها بالتساهل .

وقد ردت مجلة " الإخوان المسلمون " فى ١٥ رمضان ١٣٦٤هـ الموافق ٢٣/٨/١٩٤٥ فعابت على غيرها من الجماعات الإسلامية معاملة المرأة من خلال تقاليد بالية سقيمة " تجعل من الرجل سجانا للمرأة يحبسها فى بيت للمتعة والتوالد، لا تعرف من دنياها إلاهذين الغرضين العظيمين ، وتظل كذلك إلى أن تنتقل من ظلام حياتها إلى ظلام القبور "

وبهذا تعترف الجماعة بظلم وظلام حياة المرأة فى ظل التقاليد البالية

ورأت الجماعة أن الدين لا يقر ذلك وأن من الواجب " أن نشفق على دين الله من أن تستبد به الآراء المتشائمة والأمزجة السوداوية "

وطالبت بعض الجماعات الإسلامية - فى أعقاب الحرب العالمية الثانية - بإلغاء تشكيلات الأخوات المسلمات ، فردت مجلة " الإخوان المسلمون " فى ١٨ شوال ١٣٦٥هـ [١٤/٩/١٩٤٦] وفى ٢٧ محرم ١٣٦٦هـ [٢١/١٢/١٩٤٦] بأن الدين لم ينزل للرجال فقط ، وأن على المرأة واجب خدمة الإسلام والمساهمة الكاملة فى كل ما يعود بالخير عليه وعلى أبنائه " فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض "

وقالت إنه على الرغم من ذلك ، فلا ينبغى أن يفهم بأن الإسلام قد دعا إلى مساواة الرجل بالمرأة مساواة كلية ، بل نظم حقوق كلا الجنسين لما بينهما من فروق فى الخلق وتفاوت فى الاستعداد ، وأن المساواة بينهما من حيث الدين والعقيدة والثواب والعقاب والحقوق الزوجية والمعاملات المالية وطلب العلم ، أما تولى المرأة مناصب قيادية فهذا أمر مرفوض دينيا .

وقد هاجمت " مجلة النذير " فى ١٥ رمضان ١٣٦٥هـ قيام زوجة صالح حرب رئيس جماعة الشبان المسلمين بمصاحبة هدى شعراوى إلى فرنسا للدعوة إلى حرية المرأة وسفورها كما استنكرت خطبة لصالح حرب أشاد فيها بالمرأة التركية .

كما نشرت مجلة " الإخوان المسلمون " فى ٤/١٩ ، ٥/١٧ ، ١٩٤٧/٧/٥ ومجلة النذير فى ٨ ذى الحجة سنه ١٣٦٧هـ معارضة جماعة الإخوان المسلمين وجماعة شباب محمد وعلماء الأزهر لما طالب به محمد على علوبة من منح المرأة حقها فى الانتخاب ، واعتبروا ذلك خروجا على الدين ، بل هو ثورة عليه ، واعتبروا ترشيح المرأة منكرا لا يرضى الله . [٩٥]

ولكن حسن البنا تراجع بعد ذلك عن هذه الزوائد التى أضافوها للدين من عندهم . ففى بيانه فى المؤتمر الصحفى الذى انعقد بدار المركز العام للإخوان المسلمين بمناسبة مرور عشرين عاما على تأسيس أول شعبة للإخوان ذكر أن حق الانتخاب للمرأة لا يستطيع أحد أن يقول إن الإسلام يمنع منه ، ولكن الظروف الاجتماعية تحتم إرجاء استخدامه .

وحاول أن يعلل ذلك بقوله : إذا كنا لازلنا نشكو إلى الآن من سوء استخدام الرجال لهذا الحق ، فكيف نحسن الظن بإباحة ذلك للنساء أيضا فالمسألة ليست مسألة مبدأ ولكنها مسألة تطبيق ، وذلك مرهون بالظروف والأحوال .

وأما عن اهتمام هيئة الأمم المتحدة بحقوق المرأة ومطالبتها كافة الدول - خاصة التى لازالت تحرم المرأة من حقوقها - بالإسراع بإباحة هذه الحقوق . فلم يرحب حسن البنا بهذا الاهتمام بل اعترض عليه داعيا هيئة الأمم المتحدة أن تنصرف إلى

[٩٥] - د . زكريا بيومى : "الإخوان المسلمون "والجماعات الإسلامية فى الحياة السياسية المصرية ١٩٢٨ - ١٩٤٨ ص ٢٩٧ - ٢٩٩ .

مهمتها الحقيقية وهى العمل على إقرار السلام فى الأرض ، وأن تدع للفلاسفة والمربين من علماء الاجتماع مثل هذه البحوث .[٩٦]

ويبدو أن تظاهر حسن البنا بالموافقة على المبدأ أمام مؤتمر صحفى يحضره مندوبون للصحافة العالمية كان خطة تكتيكية مؤقتة .

ويرجح ذلك ما نشرته صحيفة الدعوة فى ١٨ يونية ١٩٥٢ من أن جماعة الإخوان المسلمين فى يونية ١٩٥٢ عقدت فى دارها بالقاهرة مؤتمرا للاتحاد العام للهيئات الإسلامية ومنها جمعية التربية الإسلامية وجمعية العشيرة المحمدية وجبهة علماء الأزهر والجمعية الشرعية وجماعة شباب سيدنا محمد ، وذلك لمناقشة منح المرأة الحقوق السياسية وكانت جماعة الإخوان وصحيفة الدعوة تقودان الحملة ضد منح المرأة حق الانتخاب . [٩٧]

ومع ذلك نجد من يتعاطف مع جماعة الإخوان المسلمين ويزعم أنه صدرت فى عام ١٩٥٢ رسالة من رسائل الإخوان عنوانها " المرأة بين البيت والمجتمع " أضافت حقوقا جديدة للمرأة وهى :

١- حق التزين بالأصباغ التى يزول أثرها للزوج وحده مع حرمة جراحة التجميل .

٢- حق التعليم فى جميع المراحل التى يسمح بمثلها للرجال ويفضل التعليم الذى يتصل بوظيفتها الأصلية كربة بيت .

٣- السماح بخروج الرجل مع زوجته للترويح عن أنفسهم فى المتنزهات العامة أو الذهاب لمشاهدة أفلام ثقافية أو مسرحيات تاريخية .

---

[٩٦] – جريدة " الإخوان المسلمون " اليومية العدد ٧١٩ السنة الثالثة الأحد ٢ ذو القعدة سنة ١٣٦٧هـ ٥ سبتمبر سنة ١٩٤٨ م ص٤

[٩٧] – طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ / ١٩٥٢ ص ٥٧٥

وأوضح الإخوان أن هذه الدور أى السينمات والمسارح ليس فيها حرج لذاتها بل الحرج على الأفلام الرخيصة التى تعرض فيها .

٤- السماح للمرأة بالعمل فى الوظائف الحكومية وغيرها إذا كانت هناك ضرورة تدعو لذلك .

٥-حق المرأة فى تحديد النسل إذا كان ضارا بصحتها أو لظروف اقتصادية

٦- الاعتراف بحقوق المرأة السياسية مع بيان أن المجتمع عندنا لم يتهيأ بعد لمزاولته والأخذ به . [٩٨]

فما أبعد الشقة بين هذه الرسالة وما احتوته ، وبين الهجوم الضارى على خروج المرأة إلى الحدائق والمتنزهات ودور السينما ..... الخ .

ولكن هذه التنازلات لا توحى أن وراءها اقتناعا ثابتا ، بل فرضته قوة التيار الذى واجهه الإخوان ، والذى فرضته الظروف السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية السريعة التغير ، والتى ساندت حقوق المرأة ، فمضت تفرض نفسها فى كل ميدان ، وتنتزع حقوقها ، وتثبت جدارتها بما حصلت عليه وتكنس فى طريقها كل المعارضين وتخرس أصوات المحافظين .

والدليل على صحة هذا الاستنتاج هو هذا التأرجح فى الأقوال ، وميوعة المواقف وعدم ثباتها والتسليم بالمبدأ ثم وضع شروط لإلغائه .

فالدكتور ريتشاد ميتشيل فى تسجيله لفكر الإخوان يذكر أن الإسلام فى رؤيتهم لا يحرم على المرأة الاشتغال بالتجارة أو الطب أو المحاماة [لاحظ المعارضات والاستنكارات السابقة] ثم يستدرك ويتحفظ : لكن الإسلام أوجب أن يتم فى جو الاحتشام والحزم ، ثم يمسح ماذكره ، بأنه لو تحققت تلك الشروط فما

---

[٩٨] – محمد شوقى زكى : الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى ص ١٩٨ ، ١٩٩

أهمية هذه الأهداف للمرأة إذا كانت الوظيفة الأساسية لها هى المنزل والأسرة ، لأن التقدم الأنثوى الحقيقى لا يقاس فقط بحق المرأة فى أن تصبح تاجرة أوطبيبة أو محامية ، بل يقاس بتقدم إنسانيتها .

" بالتعليم الذى يكتسبه عقلها والتطور الذى يلحق بشخصيتها وطهارة قلبها وطبيعتها "

" فالدين لا يمنع المرأة من العمل وإنما يمنعها من الهروب من مكانها الطبيعى دون عذر "

وبالنسبة لحقوق المرأة السياسية نجد الظروف السياسية والاجتماعية والتشريعية فى الوقت الحاضر تستوجب تأجيل حقوق المرأة – التى أقرها الإسلام – حتى يصبح الرجل والمرأة معا أكثر تعلما فى المجالين الثقافى والروحى ، وحتى يتبعوا بإخلاص أكثر مبادىء العقيدة وواقعها العملى .

فالمجتمع يجب أن يتطهر من الفساد قبل إعطاء المرأة حقوقها السياسية [لاحظ أن المراوغين والطغاة كانوا دائما يبررون رفضهم للمطالب الشعبية المشروعة أو تأجيلها بحجة مكافحة الفساد أولا حتى يستمروا فى سيطرتهم واستبدادهم] وحينما يسير المجتمع على هدى الدين والعقل يصبح الطريق ممهدا لخلق مجتمع نبيل تمارس فيه المرأة حقوقها السياسية .

وقد لخص الأستاذ حسن الهضيبى رأيه بأن " مكان المرأة الطبيعى هو المنزل إلا أنها تستطيع أن تستغل جزءا من وقتها فى خدمة المجتمع إذا توفر لها هذا الجزء بعد أداء واجباتها المنزلية بشرط أن تمارس ذلك النشاط فى الحدود الشرعية التى تكفل لها الحفاظ على كرامتها وأخلاقها " [٩٩]

---

[٩٩] – د . ريتشارد ميتشيل : الإخوان المسلمون جـ٢ ص ١٩٦ – ١٩٨

إن الاستجابة الجزئية من جانب الإخوان المسلمين لحقوق المرأة محاطة بالكثير من الألغام الكفيلة بنسفها ، فالقيود التى يضعونها تنسف ما قدموه من تنازلات تحت ضغط التطور السريع ، مما يؤكد عدم إيمانهم بهذه التنازلات ، وثباتهم الجوهرى على موقفهم المحافظ والجامد من قضايا تحرير المرأة .

إن حاجة المنزل للمرأة حقيقى وطبيعى ، ولكن للمجتمع أيضا حاجاته ، والمرأة نصف المجتمع ولاتقدم إذا بقى هذا النصف مشلولا كالاً على النصف الآخر .

ومن هنا وجب الإقرار للمرأة بحقها فى العمل فى جميع الميادين بما فيها الميدان السياسى ثم بعد ذلك فللمرأة حق الاختيار بين البقاء فى بيتها لتربية أطفالها أو الخروج للعمل وفى هذه الحالة يجب على الدولة أن تكفل رعاية الطفل بتوفير دور الحضانة له لأنه هو الآخر مواطن له على الدولة حقوق يجب أن تراعى .

ومن حسن حظ المرأة والمجتمع أن التطور قد انتصف لها على كل دعاوى الزيف والتخلف وحصلت المرأة على حقوقها كاملة فى التعليم والعمل بما فيه حقوقها السياسية بحيث أصبحت مساوية للرجل فى القوانين والتشريعات وحققت وجودها فى المجالس النيابية وفى الوزارة .

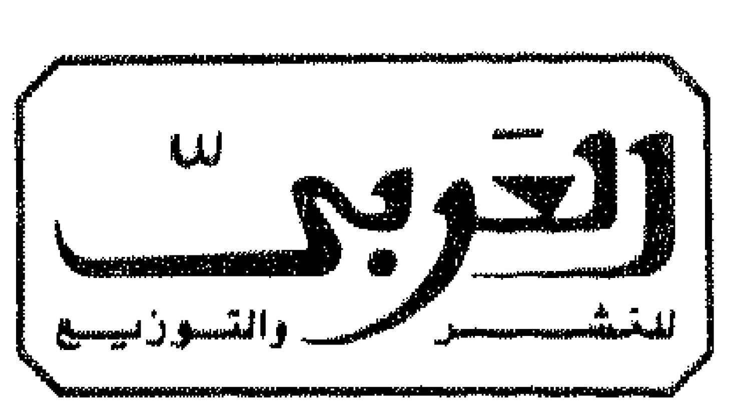
ولكن الغربان مازالوا متربصين بها وقد نجحوا جزئيا فى السنوات الأخيرة وغسلوا عقول الكثيرات من الفتيات والنساء بحيث أصبحنا نخشى من حدوث ردة فى عالم المرأة تعيدها سجينة البيت ويصبح عصر الحريم الذى ولى هو المستقبل المظلم لحياة المرأة المصرية والعربية .

الفهـــــرس

رقم الايداع ٩٧/١١٦٤٢

I.S.B.N.

977-5040-69-8



٦٠ شارع القصر العينى - أمام
روزاليوسف (١١٤٥١) القاهرة
ت: ٣٥٥٤٥٢٩ فاكس : ٣٥٤٧٥٦٦

